مجلة الإسلام والتصوف

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد مصطفى حلمى	الأستاذ عبد المنصف محمود
« عبد الحليم محمود	« حسنى طه شكيبان
« مصطفى كمال وصفى	« محمد عيد الشافعى
« محمد خلف الله احمد	« محمود محمد عماره
الأستاذ محمد الحافظ التيجانى	« أحمد السيد عوض الله
« أبو الوفا التفتازانى	« ادوار الجواهرجى
« محمود شلبى	« فوزى عرقه
« محمد جاد كشك	« محمد محمود علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : منهج التصوف

قصص صوفى : أخبار صوفية

العدد التاسع — السنة الثانية

الثمن ٥ قروش

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

مجلة
الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

للاشتراك
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد التاسع « السنة الثانية » : ٤ شعبان عام ١٣٧٩ هـ الموافق أول فبراير ١٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الطرق الصوفية
قوة بناءة في كيان المجتمع الإسلامي

لسماحة السيد الأستاذ محمد محمود علوان

يحظى التصوف الإسلامي اليوم بعناية كبرى من رجال العلم والفكر، كما يلقى التأييد والرعاية من الرجال العاملين على تطوير حياتنا العربية، إلى حياة أفضل وأقوى، والتقدم بها خطوات إلى أفق المجتمع الدولي الحضاري، الذي يقف اليوم على أعتاب عصر تاريخي، من أعظم العصور التي شهدها كوكبنا الأرضي.

ولقد تعددت الدراسات، كما تعددت الاجتماعات التي أدير الحديث فيها حول التصوف ورسالته، وما يمكن

أن يقدم لنهضتنا من قوى معنوية دافعة ، ومبادىء أخلاقية عالية ، ومثاليات إيمانية مضيئة، تصنع الأيدى الطاهرة ، والعزمات الخلاقة الصانعة .

وأحب أن أوضح نقطة هامة وحاسمة ، نقطة تضىء الطريق للباحثين والمصلحين ، وتضع النقاط الهادية على الحروف .

فالتصوف كعلم وكمثاليات ، عاش فى التاريخ فى بطون الكتب وفى سطور الصحف ، تردده الألسن والأقلام فى إعجاب وإكبار ، كلون من ألوان السمو الروحى ، والإلهام القلبى ، والإمتاع الفكرى الرفيع فحسب .

أما التصوف كتربية وتهذيب وتعليم، كأخلاق حية ، وضمائر نقية ، وقوة إيجابية ، وحياة بناءة صانعة ، أما هذا الجانب العملى ، البعيد الأثر فى حياة العالم الإسلامى ، فقد نهضت به الطرق الصوفية وحدها .

فالطرق الصوفية : هى التى أحالت المبادىء الصوفية من أخلاق ومثاليات وتعبديات ومعنويات إلى حقائق حية ، تتمثل فى الأفراد الممتازين ، كما تتمثل فى روح الجماهير.

هى التى أحالت ملهمات التصوف إلى قوة إيجابية ، صنعت المجتمعات الإسلامية ، وطبعتها بطابع الفدائية والمثالية ، هى التى أحالت التصوف إلى عبادة لله ، ورسالة للحياة ، وصمدت عبر التاريخ لكل القوى العالمية التى حاولت فكرياً أو حربيا القضاء على الإسلام ورسالة الإسلام .

والطرق الصوفية ، هى وحدها التى جذبت الجماهير إلى نطاق المبادىء الصوفية ، وهى التى نشرت رسالة التصوف فى هذا النطاق العالمى ، فلم يبق قلب إسلامى لم يصله شعاع منها، ولم تبق مجموعة إسلامية إلا رفرف علم التصوف عليها .

إن هذه الجماهير التى يموج بها العالم الإسلامى ، الجماهيرة العابدة المؤمنة ، هذه الحامات الصالحة ، التى عاشت عبر التاريخ ، فى قلبها نور الإسلام وحميته ، وفى عقلها حبه وتقديسه، وفى وجدانها نوره وإلهامه، هذه الجماهير صنعتها الطرق الصوفية وحدها ،

وسر التصوف الأكبر ، وسر هيمنة هذه الطرق على قلوب الناس وعقولهم هو تلك المحبة الحارة ، التى

تجمع المريد بشيخه ، والقداسة الحية التي تربط بين الجمهور وأوليائه .

إن قطب الرحى فى حياة الجماهير الصوفية أنهم أقاموا حياتهم التعبدية والعملية على أنوار الحب الإلهى ، فأوجدوا صلة بربهم أساسها القلب المحبت لله، المرتبط به ، المحب له ، المقبل عليه بالذكر والمناجاة ، ومايلهم الذكر ، وماتلهم المناجاة ، من وجد وشوق ، وإلهام وذوق .

ومن هذا الحب انبثق حب الصوفية لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، حبا يصبغ الحياة كلها بألوانه وانطباعاته ، حبا يجعل الصوفى يعيش مع رسوله بقلبه وروحه ، وأعماله وأخلاقه .

ومن أفق هذا الحب الذى تنطبع به الحياة ، وتتلون به الأخلاق والأعمال ، يجىء حب الأولياء والصالحين ، والعباد الذاكرين .

ومن ثم يحيا الصوفى حياة مشرقة ، أعظم مايكون الإشراق ، طاهرة أنبل ماتكون الطهارة ، حياة قمتها العلياربالوجود ومبدعه وخالقه، المهيمن على كل شىء ، الكبير المتعال ، وأمام هذه الحياة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، أما مجتمع هذه الحياة : فهى الأسرة المؤمنة الكبيرة التى تضم الأولياء جميعا ، والمؤمنين بالله جميعا ، وبذلك يعيش الصوفى فى حياة عالمية رحبة الآفاق ، فى حياة جياشة بالحس والعاطفة ، عامرة بالنور والطاعة ، حياة نامية متحركة متطورة، مستهدفة دائما ربها ورضوانه ورضاه . حياة لايشعر فيها بوحدته ولا بانفراده ، ولا يحس فيها شكا ولا قلقا ، ولا حيرة وانحرافا .

إنه يحس أبدا بأن الله سبحانه معه ، وبأن رسول الله صلوات الله عليه يلهمه ويرشده ، ويقود خطاه ، كما يحس بأن الأولياء والصالحين جميعا هم إخوانه وأحبابه وأعوانه .

إنه يعيش فى نطاق الأسرة الإسلامية العالميه المهذبة ، يعيش فى نطاق أخوة مؤمنة يحبها الله ويرضى عنها ، الأخوة التى يذكرها المصلون بين أيدى ربهم فى أسمى عباداتهم : « إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » الأخوة التى يذكرها المصلون فى تشهدهم : — السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين —

تلك الأسرة الصوفية التى عاشت فى جو الرسالة الإسلامية بهذه المعانى، وبهذه الصورة ، والتى تكون لها مع التاريخ تقاليد وعادات وتنظيمات ، هذه الأسرة الصوفية العالمية يجب على الباحثين والمصلحين أن يتفهموا أهدافها ورسالتها ، وأن يتعمقوا حياتها وتاريخها .

فدراسة التصوف وحده — كعلم ومثاليات — لايغنى عن دراسة تاريخ الطرق وإمكانياتها وحياتها وعباداتها وآثارها ، وما تملك من قوى إيجابية وروحية ، وماتمثل من تاريخ حى وواقع أشد حياة ، وغدا أكبر إشراقا ونماء وهدى بإذن الله .

وما يصلح كمنهج للتصوف النظرى العلمى قد لايصلح لإصلاح الطرق الصوفية — كقوة عملية بناءة فى كيان المجتمع الإسلامى وحضارته وتطوره —

أما رسالتنا التى أعددناها للنهوض بالطرق الصوفية ، والتى بدأناها فعلا: فسنعرض لها بإذن الله فى أعداد تالية، والله يوفقنا ويوفق العاملين للإصلاح إلى خير السبل وأهداها ، إنه سبحانه ولى التوفيق ومفيضه .

أنا الله

جاء فى الحديث القدسى عن رب العزة .

« أنا الله لا إله إلا أنا ، ملك الملوك ، ومالك الملك ، قلوب الملوك كلها فى يدى ، فإن أطاعنى عبادى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرحمة والرضوان ، وإن عصونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة ، فسامومهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على ملوككم ، بل اشغلوا أنفسكم بذكرى ، والتقرب إلى ، أكفكم ملوككم ، أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز.

شهيد التصوف الإسلامي
الحلاج

بقلم الأستاذ
طه عبد الباقي سرور

٧

الحلاج والتصوف

كانت حياة الحلاج وما انبثق منها من إشعاعات وإشراقات ، وما ابتدعت من مناهج فى التفكير والتأمل والروحانيات ، كانت كما يقول — نيكلسون — : لحظة جوهرية فى تاريخ التصوف الإسلامى :

كانت حياته من نقاط التحول والتطور فى الأفق الصوفى ، ومن مطالع النماء والخصوبة فى التفكير الروحى ، وإلى الحلاج ترجع الأصول الكبرى لذلك التراث الإسلامى العالمى ، الذى شكل فى محيط الفكر الصوفى أعظم القوى الروحية الإيمانية التى عرفها تاريخ الإنسان .

والتصوف عند الحلاج ، هو انتساب الإنسان إلى الله سبحانه ، لا إلى هذا العالم المادى الحيوانى ، بل هو ارتفاع الإنسان إلى الله فى سفر طويل هائل ، لا تقدر عليه إلا عزمات الرجال الكبار ، المصطفين الأخيار .

سفر تفنى فيه الصفات البشرية ، فى الصفات الإلهية ، فناء طاعة وعبودية ، وحب ووجد ، وذوق وشوق .

ويقسم الحلاج هذا السفر الطويل إلى أربع رحلات ، تبتدئ أولاها بالمعرفة وتنتهى بالفناء ، والثانية تبدأ أنوارها والهاماتها حينما يعقب الفناء البقاء ، وفى الثالثة يوجه الإنسان الكامل اهتمامه لمخلوقات الله مرشدا وهاديا .

والرابعة وما أدراك ما الرابعة !! قمة سامقة مشرقة ، يحلق الإنسان فى آفاقها وقد غمرته الصفات الربانية ، والأنوار الإلهية ، فيصبح مرآة تتجلى فيها حقائق الكون وأسراره ، وهو موقف لا مجال للحديث عنه ، وحسبنا أن نومئ هنا

إلى كلمة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي : « ليس فى مستطاع أهل المعرفة إيصال شعورهم إلى غيرهم ، وغاية ما فى هذا المستطاع هو الرمز عن تلك الظواهر لأولئك الذين أخذوا فى ممارستها » .

ومن أراد فقها أكبر ، فليتأمل قول سيد المرسلين فى حديث الإسراء : « انعكس بصرى فى بصيرتى ، فرأيت من ليس كمثله شيء » أى رآه بالحاسة القلبية الروحية .

يقول الحلاج : « أسماء الله التسعة والتسعون تصير أوصافا للعبد السالك ، وهو يعد فى السلوك غير واصل » (١) .

ويقول : « من صدق مع الله فى أحواله فهم عنه كل شى ، وفهم عن كل شيء » (٢) .

ومن هذا الأفق قول الشبلى للجنيد ، : « ما رأيك فيمن الحق نعته حالا ومقاما ؟ فقال : هيهات ياأبا بكر ، بينك وبين أكابر الطبقة ألف طبقة ، فى أولها ذهب الاسم » — أى لا يوجد أنا أبدا — .

ولقد حمل الحلاج أمانة المعرفة الصوفية العليا وعاشها بروحه وقلبه وحسه ، وقدم دمه فـــداء لها فى بطولة أسطورية لا يزال شعاعها وإلهامها يومض عبر التاريخ .

كانت تجربة الحلاج الصوفية من أصدق وأخلص ما عرف تاريخ التصوف ، وهذا سر ما فيها من عمق ، ومن حرارة ، ومن إلهام .

لقد صعد فى معارجها بجناح جبار من أجنحة الحب والوجد ، ووهبها كل ذرات روحه وهتافات قلبه ، وأمانى حسه ، وحمل قيثارته ليهب للخلود ، إلهامات حبه ومعرفته وتجربته .

يقول الحلاج مصورا لحبه ووجده :

الله يعلم ما فى النفس جارحة إلا وذكرك فيها نيلُ ما فيها

---

(١) الطواسين طبع ماسنيون صفحة ٩٢

(٢) الطواسين طبع ماسنيون صفحة ٩٣

ولا تنفستُ إلا كنت فى نفسى ... تجرى بك الروح منى فى مجاريها
إذ كانت العين مذ فارقتها نظرت ... إلى سواك فخانتها مآقيها
أو كانت النفس بعد البعد آلفة ... خلفا عداك فلا نالت أمانيها

ثم يهتف ، وقد برح به الهوى ، واشتعل قلبه بالوجد ، وهامت روحه بأنوار القرب ، و سكرت أحاسيسه بإشراقات الأنس ، حتى تفجرت ألحانا وأنغاما بحبه العلوى المقدس (١)

أباحت دمى إذ باح قلبى بحبها ... وحل لها فى حكمها ما استحلت
وما كنت ممن يظهر السر إنما ... عروسُ هواها فى ضميرى تجلت
فألقت على سرى أشعة نورها ... فلاحت لجلاسى خفايا طويتى
فإن كنت فى سكرى شطحت فإننى ... حكمت بتمزيق الفؤاد المفتت
ومن عجب أن الذين أحبهم ... «وقد أعلقوا أيدى الهوى بأعنة»
سقونى وقالوا لا تفنى ولو سقوا ... جبال حنين ما سقونى لفتت

لقد توغل فى معراج السلوك ففنى عن كل ما سوى الله سبحانه ، وتطهرت روحه وبرئت من كل مالا ينتسب إليه جل جلاله ، فصار فى حال فناء كامل عن وجود السوى ، وشهود السوى ، وعبادة السوى ، فلم يصبر على ما شاهد من جمال وجلال فهتف : (٢)

والله ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا وحبك مقرون بأنفاسى
ولا خلوت إلى قوم أحدثهم ... إلا وأنت حديثى بين جلاسى
ولا ذكرتك محزونا ولا فرحا ... إلا وأنت بقلبى بين وسواسى
ولا هممت بشرب الماء من عطش ... إلا رأيت خيالا منك فى الكاس
ولو قدرت على الاتيان جئتكم ... سعيا على الوجه أو مشيا على الراس
مالى وللناس كم يلحونى سفها ... دينى لنفسى ودين الناس للناس

ما للحلاج والناس ، لقد سما فوق التراب والطين ، وتطلع إلى مشارق الروح ورب الرب .

ولنستمع إليه فى تلك الضراعة المؤمنة المحبة الملهمة وهو يناجى حبيبه الأكبر وموجوده الأعظم :

---

(١) ديوان الحلاج . نشر ماسنيون
(٢) ديوان الحلاج . نشر ماسنيون

« .. عن ابن الحداد المصرى قال :[1] خرجت فى ليلة مقمرة إلى قبر أحمد ابن حنبل رحمه الله ، فرأيت هناك من بعيد رجلا قائما مستقبلا القبلة فدنوت منه من غير أن يعلم ، فإذا هو الحسين بن منصور وهو يبكى ويقول :

يامن أسكرنى بحبه ، وحيرنى فى ميادين قربه ، أنت المنفرد بالقدم ، والمتوحد بالقيام على مقعد الصدق ، قيامك بالعدل لا بالاعتدال ، وبعدك بالعزل لا بالاعتزال ، وحضورك بالعلم لا بالانتقال وغيبتك بالاحتجاب لا بالارتحال ، فلا شىء فوقك فيظلك ، ولا شىء تحتك فيقلك ، ولا أمامك شىء فيحدك ، ولا وراءك شىء فيدركك .. اسألك بحرمة هذه الترب المقبولة ، والمراتب المسئولة ، ألا تردنى إليّ بعد ما اختطفتنى منى ، ولا ترينى نفسى بعد ماحجبتها عنى ، وأكثر أعدائى فى بلادك ، والقائمين لقتلى من عبادك .

فلما أحس بى التفت وضحك فى وجهى ورجع وقال لى : يا أبا الحسن !! هذا الذى أنا فيه أول مقام المريدين ، ثم زعق ثلاث زعقات وسقط وسال الدم من حلقه ، وأشار إلى بكفه أن اذهب فذهبت وتركته ، فلما أصبحت رأيته فى جامع المنصور فأخذ بيـــدى ومال بى إلى زاوية وقال : بالله عليك لاتعلم أحدا بمارأيت البارحة » .

صلة الحلاج بالله :

هذا الحلاج المحب الفانى ، العابد المثالى ، السابح فى وجده ، المحترق فى تجربته ، المشوق فى قربه ، الذى ملأ الدنيا بضجيج ضراعاته ومواجيده ، قد امتلأت صحف التاريخ بالتهاويل والأباطيل حول حبه وعقيدته ، وحول إيمانه وصلته بربه !؟

وصفوه بأنه حلولى ينادى بالحلول ، ويتخذ الحب والفناء معراجا لغايته ، وتنادوا بأنه اتحادى ، يحاول برياضاته ومجاهداته وشطحاته أن يتحد بموجده فى تجربة مبهمة غامضة !!؟ وأنه اتخذ من الوجد والنشوة عند السماع والاستغراق سبيلا إلى هدفه ، حتى أصبح فى سكره وسبحاته يقول فى دعاوى عريضة : أناعوضا عن هو !!؟ تأليها لنفسه وللإنسان المجتبى المختار الكامل ، الذى يجد فى ذاته حقيقة .. صورة الله !!؟

---

(١) أخبار الحلاج ص ١٤ ، ١٥

فهل كان الحلاج كما قالوا ؟ وهل كان الحلاج كما وصفوا ؟ لنمش معه خطوات فى مناجاته لربه ، وخطوات فى حديثه عن صلة الإنسان بخالقه .

قال أحمد بن فاتك : قال الحلاج :(١) من ظن أن الألوهية تمتزج بالبشرية ، أو البشرية تمتزج بالإلهية فقد كفر ، فإن الله تفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم ، فلا يشبههم بوجه من الوجوه ، ولا يشبهونه بشىء من الأشياء ، وكيف يتصور الشبه بين القديم والمحدث !! ومن زعم أن البارى فى مكان ، أو على مكان ، أو متصل بمكان ، أو يتصور على الضمير ، أو يتخايل فى الأوهام ، أو يدخل تحت الصفة والنعت فقد أشرك .

وعن الحسين بن حمدان قال : « (٢) دخلت على الحلاج يوما فقلت له : أريد أن أطلب الله فأين أطلبه ؟ فاحمرت وجنتاه وقال :

الحق تعالى عن الأين والمكان ، وتفرد عن الوقت والزمان ، وتنزه عن القلب والجنان ، واحتجب عن الكشف والبيان ، وتقدس عن إدراك العيون ، وعما تحيط به أوهام الظنون ، تفرد عن الخلق بالقدم ، كما تفردوا عنه بالحدوث ، فمن كانت هذه صفته كيف تطلب السبيل إليه !! ثم بكى وقال :

فقلت أخلائى هى الشمس ضوؤها قريب ولكن فى تناولها بعد

قال ابن فاتك (٣) : « قصدت الحلاج ليلة فرأيته يصلى فقمت خلفه ، فلما سلم قال : اللهم أنت المأمول بكل خير ، والمسئول عن كل مهم ، والمرجو منك قضاء كل حاجة ، والمطلوب من فضلك الواسع كل عفو ورحمة .

وأنت تعلم ولا تُعلم وترى ولا ترى ، وتخبر عن كوامن أسرار ضمائر خلقك ، وأنت على كل شىء قدير . وأنا بما وجدت من روائح نسيم حبك ، وعواطر قربك ، أستحقر الراسيات وأستخف الأرضين والسموات ، وبحقك لو بعت منى الجنة بلمحة من وقتى ، أو بطرفة من أحر أنفاسى لما اشتريتها ، ولو عرضت على النار بما فيها من ألوان عذابك لاستهونتها فى مقابلة ما أنا فيه من حال استتارك منى ، فاعف عن الخلق ، ولا تعف عنى ، وارحمهم ولا ترحمنى ،

---

(١) أخبار الحلاج طبع القاهرة ص ٢٨ ، ٢٩

(٢) « « « « ٤٣

(٣) « « « « ٤٤

فلا أخاصمك لنفسى ، ولا أسألك بحقى ، فافعل بى ما تريد . فلما فرغ قام إلى صلاة أخرى وقرأ الفاتحة ، وافتتح بسورة النور ، وبلغ إلى سورة النمل ، فلما بلغ إلى قوله تعالى : « ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض » صاح صيحة عظيمة وقال : هذه صيحة الجاهل به » .

ومن الكلم الذى تخفق له القلوب ، ويشع منه النور ، تلك المناجاة الحلاجية :

« . . . إلهى وإله الموجودات والمعقولات والمحسوسات ، يا واهب العقول والنفوس ، ومخترع ماهيات الأركان والأصول ، يا واجب الوجود ، ومفيض الجود ، يا جاعل القلوب والأرواح ، يا فاعل الصور والأشباح ، يانور الأنوار ومدبر كل الدوار ، أنت الأول الذى لا أول قبلك ، وأنت الآخر الذى لا آخر بعدك ، الملائكة عاجزون عن إدراك جلالك ، والناس قاصرون عن معرفة كمال ذاتك . اللهم خلصنا من العوائق الدنية الجسمانية ، ونجنا من العوائق الردية الظلمانية ، وأرسل على أرواحنا شوارف آثارك . وأفض على نفوسنا بوارق أنوارك .

العقل قطرة من قطرات ملكوتك ، والنفس شعلة من شعلات جبروتك ، ذاتك ذات فياضة ، تفيض منها جواهر روحانية ، لا متمكنة ولا متحيزة ، ولا متصلة ولا منفصلة ، مبرأة عن الأحياز والأين ، معراة عن الوصل والبين ، فسبحان الذى لا تدركه الأبصار ، ولا تمثله الأفكار ، لك الحمد والثناء ، ومنك المنع والعطاء ولك الجود والبقاء ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون » .

قال ابن سودكين راوياً عن شيخه : « رأيت الحلاج فى هذا التجلى فقلت له يا حلاج : هل تصح عندك علية له ؟ وأشرت !! فتبسم وقال : أتريد قول القائل : يا علة العلل ، ويا قديم لم يزل ، قلت له : نعم ، قال : هذه قولة جاهل ، اعلم أن الله تعالى يخلق العلل وليس بعلة . كيف يقبل العلية من كان ولا شىء معه ، وأوجد من لاشىء ، وهو الآن كما كان ، ولا شىء ، جل وتعالى !! لو كان علة لا ارتبط ، ولو ارتبط لم يصح له الكمال تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً !! قلت له : هكذا أعرفه ، قال : هكذا ينبغى أن يعرف فاثبت :

قال ابن سودكين : سمعت شيخى يقول ـ فى أثناء شرحه لهذا التجلى ـ لما

اجتمعت بالحلاج رحمه الله فى هذا التجلى وسألته عن العلية ، هل تصح له أم لا ؟ فقال : هى قولة جاهل — يعنى أرسطو [1] » .

ويقول الحلاج — واصفاً للمتحققين بالله فى وجدهم — : « إن لله عباداً اختارهم من خلقه ، واصطفاهم لنفسه ، وانتخبهم لسره ، وأطلعهم على لطيف حكمته ، ومخزون علمه ، أفناهم عن أوصافهم الناشئة عن طبائعهم ، ولم يردهم إلى علومهم المستخرجة بحكم عقولهم ، ولم يحوجهم إلى المرسوم من حكمة الحكماء ، بل كان هو لسانهم الذى به ينطقون ، وبصرهم الذى به يبصرون ، وأسماعهم التى بها يسمعون ، وأيديهم التى بها يبطشون ، وقلوبهم التى بها يتفكرون . بان عن حلول فى ذواتهم ، فأبدى الأشياء فيما بينه وبينهم ، قهر كل موجود ، وغمر كل محدود ، وأفنى كل معهود ، ظهر لأهل صفوته ، ولم يجعل للعلم إلى كيفية ذلك سبيلا ، ولا إلى بحث ذلك تمثيلا » .

ومن الكلم الطيب الذى يصعد فى معارج النور إلى مقام الإلهام قول الحلاج :

« من عرفه ما وصفه ، ومن وصفه ما عرفه ، عنت الوجوه لعظمة كبريائه فى أرضه وسمائه ، وأنست قلوب أوليائه بشهود جلاله وجماله وبهائه ، وكلت المقاول عن شكر آلائه وأفضاله ونعمائه ، وقصرت المعارف عن ذاته وصفاته وأسمائه ، وحارت العقول فى نزوله وارتفاعه واستوائه !! فقوم جحدوا وألحدوا ، وقوم أشركوا وعددوا ، وقوم أنكروا الصفات فعطلوا وبطلوا ، وقوم أثبتوها ولكن شبهوا وشكوا . ولم يصب شاكلة الحق إلا من آمن بالذات والصفات ، وكفر باللات والآلات ، ولازم التوحيد والتنزيه ، وأثبت الصفة ، ونفى التعطيل والتشبيه .

البحث مستمر

---

(١) أخبار الحلاج طبع باريس

بين النفس والعقل

بقلم : الدكتور محمد مصطفى حلمى

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة

جلس المريد المسترشد بين يدى شيخه المرشد ، وكان الشيخ متهيئا لأن يتم ما بدأ ، ويصل ما انقطع ، من حديث العقل ، فإذا هو يوجه خطابه إلى مريده فيقول :

لعلك تذكر يا بنى أنى حدثتك فى الحديث السابق عن العقل ، فقلت لك : إنى سأقف بك عند الأسماء التى تطلق على العقل ، وعلى المعانى النظرية والعملية التى تنطوى عليها هذه الأسماء ، وعند التعريفات التى وضعت تحديداً لمعنى العقل وإظهاراً لحقيقته . وذلك كله لكى تتهيأ بالعلم والعمل لما أردت أن أهيئك له فى حياتك الخاصة والعامة من اصطناع العقل فى كل شىء ، وإيثاره على كل شىء ، وجعله حكما بينك وبين كل شىء ، بحيث تحقق فيما تؤتى من علم وما تأتى من عمل المثل الأعلى الذى أردتك على تحقيقه عندما قلت لك : « كن عقلا واعياً » .

ولعلك تذكر أيضاً أنى لم أكد أفرغ من بيان الأسماء التى تطلق على العقل وإظهار معانيها ، حتى سألتنى سؤالا نقلتنا الإجابة عنه من حديث العقل وحقيقته ، إلى حديث العقل ووظيفته ، فلم أعرض لما عسى أن يكون تعريفات للعقل تحدد ماهيته وتظهر حقيقته ، وهذا ما أحاول فى حديث اليوم أن أعرض له ، وما أرجو أن أوفق فيه .

قال المريد المسترشد :

ألا ترى ياسيدى أنه لكى يعرف العقل تعريفاً سليما ، ويفهم معناه فهماً

مستقيما ، فلا بد من أن نعرف شيئا عن النفس الإنسانية وقواها ، وعن مكان العقل منها ، وعن صلته بها ، فكل أولئك من شأنه أن يعيننا على معرفة أنفسنا أولا ، ثم على معرفة عقولنا بعد ذلك ، حتى إذا أردنا أن نكون عقولا واعية ، وأن تكون حياتنا النظرية والعملية حياة عقلية خالصة ، لم نجد فى ذلك مشقة ولا عسرا وكنا بذلك أقوم قيلا ، وأهدى سبيلا ، وكان كل ما يصدر عنا عند ذاك من فكرة وخطرة ، ومن قول وفعل إنما يصدر عن نفس عارفة بنفسها ، عالمة بعقلها وحسها ، واقفة على مواطن الضعف والقوة منها ، قائمة على مصادر القبح والحسن فيها .

ولم يكد يفرغ المريد المسترشد من كلامه ذاك ، حتى ابتسم له الشيخ المرشد ابتسامة ملؤها الإقبال عليه ، والرضا عنه ، والإعجاب به : ذلك بأنه قد بان للشيخ مبلغ ما أصاب مريده من توفيق فى إبداء هذه الملاحظة التى تشير إلى الصلة بين النفس والعقل من ناحية ، وبين معرفة النفس وبين معرفة العقل من ناحية أخرى . وفضلا عن هذا فقد عرف الشيخ أن مريده لم يعد يرسل الكلام إرسالا لا رابط له ، ولا هو يسترسل فى الحديث استرسالا لا ضابط له ، ولا هو يعترض حبا فى الاعتراض ، أو إشباعا لغرور الشباب ، على نحو ما يفعل المغرورون المفتونون من طلاب العلم الذين يملك عليهم الغرور وحب الظهور نفوسهم وعقولهم ، فإذا هم يحدثون أو يجادلون وقد خيل لهم أنهم أوتوا من العلم ما لم يؤته غيرهم ، والواقع أنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلا ، وأن أكثر ما يدعون من علم ، وما يزعمون من معرفة ، وما يتشدقون به من ألفاظ وعبارات ، وما يتفيهقون به من حجج واعتراضات ، كل أولئك ليس شيئا إذا قيس إلى ما يجهلون من معارف ومعلومات ، وهم فيما يصطنعون من كل أولئك إنما يعمدون إلى ادعاء العلم وإخفاء الجهل ، وإظهار أشخاصهم عند أساتذتهم وظهورهم على أقرانهم ، وما دروا أن شيئا من هذا كله أو بعضه ليس من خلق العالم أو المتعلم فى شىء ، وإنما هو من أخص خصائص الجاهل والمتعالم فى كل شىء ، وما أحرى العالم فيما يلقن والمتعلم فيما يتلقى أن يكون قصد كليهما إلى وجهة العلم لذاته ، لا يريدان به تعاليا أو تعالما أو ظهورا ،

ولا يبتغيان من ورائه جزاء ولا شكوراً .

دارت هذه الأفكار برأس الشيخ، وعملت عملها فى نفسه وهو يستمع إلى مريده ملاحظاً أو معقبا ، فإذا هو يوجه إليه الخطاب قائلا :

إنك لعلى حق يا بنى فيما أبديت من ضرورة التمهيد للحديث عن العقل بالحديث عن النفس . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت صلة العقل بالنفس على ما بينت ، فقد تعين أن نلم إلمامة موجزة بمعنى النفس وخصائصها ، وأن نعقب بعد ذلك بإلمامة أخرى عن العقل ومنزلته من النفس .

ولعل أول ما يقال فى هذا المقام هو أن النفس يمكن أن ينظر إليها من وجهات نظر مختلفة ، كما أن معانيها تختلف باختلاف وجهات النظر هذه : فللنفس معان طبيعية وميتافيزيقية ونفسية وأخلاقية وقدسية ، وهى بحكم كل من هذه المعانى تعد موضوعا لعلم من العلوم : فهى بمعناها الطبيعى موضوع لعلم النفس ؛ وهى بحكم معناها الميتافيزيقى موضوع لعلم ما بعد الطبيعة أو الميتافيزيقا ؛ وهى بحكم معناها الأخلاقى موضوع لعلم الأخلاق وهى بحكم معناها القدسى موضوع لعلم التصوف . ولن أفصل القول معك فى هذه العلوم التى تتناول النفس ، فذلك ما أرجو أن أعرض له فى طائفة أخرى من أحاديثنا ، وحسبى فى هذا الحديث أن أظهرك على بعض تعريفات للنفس ؛ وأن أخلى بينك وبين هذه التعريفات ، تعمل فكرك فيها ؛ وتستشف بنفسك معنى النفس فى كل منها ، وما أحسبك واجداً فى هذا مشقة أو استكراهاً .

فمن هذا القبيل ما عرفت به النفس بصفة عامة من أنها جوهر بخارى لطيف ؛ حامل لقوى الحياة والحس والحركة الإرادية . والنفس بهذا المعنى جوهر متعلق بالبدن ، متصرف فيه ، مدبر له ، مشيع للحياة فيه . ومثل النفس فيما تشيع من الحياة فى البدن كمثل المصباح فيما يشع من ضوء : فاذا بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهرة وباطنة كان فى ذلك حياة ويقظة ؛ وإذا انقطع ضوءها عن ظاهر البدن دون باطنه كان فى ذلك ركود ونوم ؛ وإذا انقطع ضوءها عن أجزاء البدن كلها سواء ظاهرها وباطنها كان فى ذلك موت .

وتسمى النفس أمارة تارة ، ولوامة تارة أخرى . ومطمئنة تارة ثالثة . فهى أمارة بمعنى أنها تميل إلى

الطبيعة البدنية ، وتشتاق إلى إشباع اللذات الجسمية ، والشهوات الحسية ، وهى بحكم هـــذا تعد مصدراً للشر ، ومنبعا للأخلاق المذمومة . وهى لوامة بمعنى أنها كلما اقترفت إثماً ، أو اجترحت سيئة ، عادت إلى نفسها فلامتها ، فهى من هذه الناحية بمثابة المراقب والمحاسب . وهى مطمئنة بمعنى أنها تنورت بما أشرق عليها من أنوار قلبية ، وتهذبت بما فاض عليها من أسرار إلهية .

وتسمى النفس بعد هذا كله نفساً ناطقة حينا ، ونفسا قدسية حينا آخر . فهى باعتبارها ناطقة جوهر مجرد عن المادة من ناحية ، ومقارن للمادة من ناحية أخرى . ومعنى هذا بعبارة أخرى : أن النفس الناطقة مفارقة فى ذاتها للمادة ، ومقارنة فى أفعالها للمادة ويمكن أن أقول لك : إن النفس الناطقة هى هذا الجوهر العاقل فى الإنسان به يرى ويفكر ، وعليه يعول فيما يعقل ويدبر . وإذا استطاعت النفس أن تتمثل الحقائق تمثلا يقينيا ، وأن تستحضر الدقائق استحضاراً حدسياً ، فهى النفس القدسية التى تتصل ذاتها بموضوعها اتصالا مباشراً تسقط فيه الوسائط وتزول الحجب وينكشف المحجوب ، فيحصل الطالب على المطلوب ، ويصل المحب إلى المحبوب .

وبعد أن فرغ الشيخ من بيان المعانى المختلفة للنفس ، سأله المريد فقال :

إذا كان ذلك كذلك ، وكانت تلك جملة من معانى النفس ، فبأيها يكون الإنسان إنساناً على الحقيقة ؟ ومن أيها يقع العقل فى الإنسان حتى يكون عاقلا على التمام ، وخليقا بمعنى الإنسانية الذى يميزه عن سائر الأنعام ؟

قال الشيخ المرشد مجيباً :

إن للنفس الإنسانية ثلاث قوى : قوة عقلية ، وقوة غضبية ، وقوة شهوانية . والقوة العقلية هى التى تقود الإنسان إلى الحقائق وتجنبه البواطل ، وتظهره على الحسن فيتبعه ، وعلى القبح فيمنعه . والقوة الغضبية هى التى تحمل الإنسان على الحمية والأنفة ، وتغريه على القهر والغلبة ، وتثير فى نفسه حب السيطرة والاستعلاء ، وتفتنه بما يحرضه على العجب والكبرياء . والقوة الشهوانية هى التى تزين للإنسان مواطن اللذات ، وتغرقه فى بحار الشهوات .

واعلم يا بنى أن الإنسان لا يكون إنساناً بالمعنى الصحيح إلا إذا كانت

القوة العقلية هى الغالبة عليه ، والموجهة له ، بحيث لا يأخذ من سائر القوى إلا مالابد منه ، ولا غنى عنه ، وبحيث يقع التعادل بين قواه فيحصل التوازن بين أفعاله ، ويكون بمنجاة من الوقوع فى الزلل والحرج ، أو الإغراق فى الغلط والشطط .

وهنا يتبين لك يا بنى أن القوة العقلية فى النفس الإنسانية هى التى تتوقف عليها سلامة الإنسان من الناحية النظرية ، ونجاته من الناحية العملية : فهى إذا عملت عملها فقتلت فى نفس صاحبها قوته الغضبية ، وكبحت فيها جماح قوته الشهوانية ، فعند ذاك يصبح الإنسان قادراً على تحصيل المعرفة الصحيحة التامة ، فإذا هو يعرف حقائق الأشياء ، كما يصبح بحكم الخضوع لسلطان العقل مقبلا على الأوامر ، معرضا عن النواهى ، متجنبا لمواطن الشبهات ، مزوراً عن مفاتن اللذات والشهوات ،

وهكذا يتبين لك يا بنى وجه الاتصال بين النفس والعقل ، وماذا للعقل من أثر فى حياة الإنسان . أما ماهو العقل فى ذاته وحقيقته ، فذلك ما أرجو أن نقف عنده فى حديثنا المقبل .

بين منهجين

صوفى . . . وفقيه

كان الشافعى وأحمد بن حنبل يتدارسان العلم ، إذ أقبل شيبان الراعى ، فقال أحمد بن حنبل للشافعى : أريد أن أسأل هذا الرجل الصوفى المشار إليه فى هذا الزمان !!

فقال له الشافعى : لاتفعل ، فقال : لابد من ذلك ، ثم قال : ياشيبان ، ماتقول فيمن نسى أربع سجدات فى أربع ركعات !؟ فقال له : يا أحمد!! هذا قلب غافل عن الله يجب أن يؤدب ، حتى لايعود إلى مثل ذلك .

فأطرق أحمد برأسه طويلا ثم رفعه وقال : فما تقول فى زكاة من له أربعون شاة ؟ فقال على مذهبنا أو على مذهبكم ؟ فقال : أوهما مذهبان ؟ قال : نعم ، أما على مذهبكم : ففى الأربعين شاة شاة . وأما على مذهبنا : فالعبد لايملك مع سيده شيئا .

من وحى الإسراء والمعراج

محمد رسول الله

للدكتور عبد الحليم محمود
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

كنا فى جلسة هادئة وديعة ، فيها شىء من الاسترخاء والفتور ، وكنا نتحدث دون تحمس ، فى مسائل شتى وفجأة ، غمرنا جميعا نوع من الاهتمام الباسم ، ذلك أن أحدنا ألقى بفكرة كدنا نضحك عليها بملء أفواهنا ، ولكننا أكتفينا بالابتسام ، ذلك أننا نزل المتحدث منا منزلة الأستاذ فهو شخص قد تقدمت به السن ، واشتعل رأسه شيبا ، ثم هو قد تولى مناصب جامعية ، هى فى الذروة والسنام. كان الحديث قد اتجه نحو الدين . فقال صاحبنا : إننى أومن بالله ، لأنى أومن بمحمد ، ولو لم أكن أومن بمحمد لما آمنت بالله .

واستزدناه فقال . إن محمدا قد اكتسب ثقتى فآمنت به ، وألقيت إليه قيادى وآمنت بتعاليمه . ولما كان من تعاليمه الإيمان بالله فقد آمنت بالله .

وكنا نريد أن نستزيد أيضا ، وأن نناقش ، لولا أن أحدنا — وكان قد طوف ببعض البلاد العربية — بادر قائلا :

إننى منذ أن أدركت ، وطيلة إقامتى بمصر ، كنت أومن بمحمد ، صلى الله عليه وسلم إيمانا قويا ، ولكننى حينما تجولت فى البيئات العربية ، ورأيت العرب فى بداوتهم الغليظة الجافة ، التى لا تزال تشبه إلى حد كبير ، بداوة الجاهلية . . حينما رأيت هؤلاء القوم الذين نزل الرسول فى أمثالهم ، ازداد يقينى وإيمانى برسولنا الكريم ، وقدرت حق التقدير هدايته السامية ، التى ما كان يمكن بحال أن تنبع من هذه البيئة التى يسيطر الحس عليها وتسيطر المادة ، فى غلظة وفى جفاء ، وتستحكم فيها الشهوات سافرة حينا ، ومستخفية فى أغلب الأحايين .

وتشعب الحديث ، وعدنا من جديد إلى شيء من الفتور ، ثم افترقنا .

فأخذت منفردا ، أفكر فيما تحدثنا به ، ووجدتني أردد في نفسي جملة صاحبنا : « أن محمدا قد اكتسب ثقتي » . وذهب تفكيري إلى الرسول في حياته الأولى قبل بدء الرسالة ، ثم في بدء الرسالة ، فوجدت أنه لم يبتدىء بإلقاء العصا لتنقلب ثعبانا ، أو بإخراج يده فإذا هي بيضاء للناظرين ، أو بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، كلا ، لم يكن شيء من ذلك ولو حدث ذلك لما كان من المستحيل أن يتشكك العرب ، وهم ألد الخصام ، فما أتى به ، والمعجزة المادية الحسية ، كانت ولا تزال موضع أخذ ورد وجدال ومناقشة ، ولقد شك فيها فرعون وهو يراها رأى العين ، وشك فيها أبو بكر الرازي ، وكتب كتابه المشهور : « مخاريق الأنبياء » ، أو حيل المتنبئين ، يتشكك فيه ، في معجزات سيدنا موسى ، ومعجزات سيدنا عيسى وينتهي إلى أن ماروى في ذلك إنما هو أساطير وأقاصيص لا تمت إلى الواقع بصلة ، والرازي وإن كان في رأيه هذا ضالا مضلا ، فإنه يرينا صورة من الصور الممكنة التي يقفها الناس أحيانا تجاه المعجزات .

على أن المعجزات إذا انفردت ولم تضف إليها الملابسات الكثيرة والظروف المتعددة الأخرى ، التي تتصل بالشخص وتعاليمه ، فإنه لا تثبت شيئا ولا تؤدي إلى يقين .

ويقول الإمام الغزالي : « فمن هذا الطريق : (طريق الملابسات والظروف) : أطلب اليقين بالنبوة ، لا من قلب العصا ثعباناً ، وشق القمر فان ذلك إذا نظرت إليه وحده — ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر — ربما ظننت أنه سحر وتخييل ، وأنه من الله إضلال ، فإنه « يضل من يشاء ويهدي من يشاء » .

لم يلجأ سيدنا محمد ، في بدء أمره على الأقل ، إلى المعجزة ، ولم يتحد بالقرآن ، وإنما طرح مسألة الثقة به على « خديجة » بأن قص عليها ما حدث فصدقت وآمنت ، وهتفت في إخلاص وفي تحمس ، « أبشر يا ابن عمي واثبت ، فو الذي نفس خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل

الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

وطرح رسول الله الثقة على ورقة ابن نوفل ، وكان متفقها فى الأديان دارسا لها ، خبيرا بها ، وقد تعلم ، وهو العربى الصميم ، اللغة العبرية ، ليزداد بالدين معرفة وفهما ، طرح رسول الله الثقة عليه — بأن قص عليه ماحدث فحسب — فأجاب ورقة ، فى غير ماتردد .

« والذى نفسى بيده ، إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء موسى ، ولتكذبن ولتؤذين ، ولتخرجن ، ولتقاتلن ، ولئن أدركت ذلك اليوم ، لأنصرن الله نصرا يعلمه » .

ثم بلغ التحمس بورقة أن أدنى رأسه من رسول الله ، فقبل يافوخه وطرح رسول الله الثقة على سيدنا أبو بكر ، وكان ذا خلق وفهم وتجارب ، أو كان ، كما يقول أصحاب السير (مألفا لقومه ، محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خلق معروف ، وكان رجال قومه يألفونه ، لغير واحد من الأمر لعلمه ، وتجاربه ، وحسن مجالسته) .

طرح رسول الله عليه الثقة فلم يتردد ولم يتشكك وآمن ، وأذاع إيمانه بالله ورسوله بين أصحابه .

يقول ابن خلدون : إن من علامات الأنبياء : « دعاؤهم إلى الدين والعبادة : من الصلاة والصدقة ، والعفاف ، وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك ، وكذلك أبو بكر ، ولم يحتاجا فى أمره إلى دليل خارج عن حاله وخلقه » .

... وعاد بى التفكير من جديد إلى صاحبنا وتساءلت : أكان مخطئا خطأ صريحا حين قال : ان ثقته بمحمد هى التى أدته إلى الإيمان بالله . لقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أهلا للثقة التى لأحد لها ، ولكن ماهى العوامل التى أدت ولا تزال تؤدى إلى هذه الثقة العظمى ؟

صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الصفا يوما ، ونادى :

« يامعشر قريش » فقالت قريش « محمد على الصفا يهتف » وأقبلوا عليه يسألونه عما يريد ، فقال فى منطق سهل وفى بساطة تامة :

« أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل ، أكنتم تصدقونى ؟ »

قالوا : نعم أنت عندنا غير متهم ، فما جربنا عليك كذبا قط » .

قال :

« فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ... »

لم يلجأ سيدنا محمد فى بدء أمره إلى معجزة تفجأ وتدهش ، وإنما لجأ إلى ثقته بنفسه وإلى ثقة قريش به .

أما عوامل هذه الثقة فهى متوفرة سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها ، ولقد ذكرت السيدة خديجة بعضها فيما ذكرناه سابقا .

وتحدث عن بعض هذه العوامل ابن خلدون ، فى سهولة ويسر ، وتحدث عن بعضها فى صورة جميلة ، الحديث الذى جرى بين هرقل وأبى سفيان ، والذى رواه الإمام البخارى فى بدء كتابه الصحيح النفيس ، ومهما شك بعض الناس فى هذا الحديث فإنه حق كله ، وهو يعطى صورة صحيحة لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونحن نذكر هنا عن هذه المصادر بعض العوامل :

١ — لقد كان من هذه العوامل : وجود خلق الخير والزكاء ، ومجانبة المذمومات والرجس أجمع . وهذا — كما يرى ابن خلدون — هو معنى العصمة .

كان رسول الله ، كأنه مفطور على التنزه عن المذمومات وعلى المنافرة لها وكأنها منافية لطبيعته ، وفى الصحيح « أنه حمل الحجارة ، وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة ، فجعلها فى إزاره ، فانكشف ، فسقط مغشيا عليه ، حتى استتر » .

ودعى إلى مجتمع وليمة فيها عرس ولعب ، فأصابه غشى النوم ، إلى أن طلعت الشمس ، ولم يحضر شيئا من شأنهم » .

لقد نزهه الله عن ذلك كله ، حتى أنه بفطرته يتنزه عن المعلومات المستكرهة ، فقد كان صلى الله عليه وسلم لايقرب البصل والثوم ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنى أناجى من لا تناجون .

٢ — ولقد قالت السيدة خديجة لرسول الله : « إنك لتصدق الحديث »

ونفت قريش صفة الكذب عنه صلى الله عليه وسلم ، ونفاها أبوسفيان فى حديثه مع هرقل ، فقال هرقل فى بداية بديهية : « لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ! ! »

٣ — وكان رسول الله يدعو إلى الخير ، ولقد كانت دعوته هى الخير كله .

يقول هرقل لأبى سفيان : «وسألتك بم يأمركم ؟ فذكرت : أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة ، والصدق ، والعفاف فإن كان ما تقوله حقا فهو نبى» يقول ابن خلدون :

«والعفاف الذى أشار إليه هرقل هو العصمة ، فانظر كيف أخذ من العصمة والدعاء إلى الدين والعبادة ، دليلا على صحة نبوته ، ولم يحتج إلى معجزة ، فدل على أن ذلك : من علامات النبوة .

٤ — وكان رسول الله ذا نسب فى قومه وكذلك الرسل : تبعث فى ذروة الشرف من أنساب قومها .

٥ — ولم يكن رسول الله متابعا ، أو متأسيا بقول قيل قبله .

٦ — ولم يكن من آبائه من تملك حتى يقال : إنه يطلب ملك أبيه .

٧ — وكان أتباعه يتعلقون به حينما يتصلون به عن قرب ، ويفتدونه بأموالهم وأرواحهم .

٨ — ومما له مغزاه أنه لم يتراجع فى موقعة حربية قط . يقول الإمام على — وهو من هو شجاعة وإقداما —

«كنا إذا حمى الوطيس نحتمى برسول الله ، حتى يصير أقربنا إلى العدو»

هذه الملابسات والظروف مجردة عن المعجزة ، تؤدى لا محالة إلى اليقين بصدق الرسول ، وأنه كان ما ذكرناه منها إنما هو قليل من كثير .

ولعله يتبين الآن صحة رأى الإمام الغزالى ، فى أن دراسة حياة الشخص وتعاليمه تحتل مكانا أهم من مكان المعجزة فى إثبات الرسالة .

ومع ذلك فقد كان لرسولنا ، صلى الله عليه وسلم المعجزة الكبرى «القرآن الكريم»

«يتبع»

الشيـــخ

للدكتور مصطفى كمال وصفى الرفاعى

لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير من الدنيا ومافيها . وقيل : من حمر النعم . قيل حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأقول ولأن يهدى الله بك رجلا واحداً فإن دون ذلك من المشاق والأهوال وخرط القتاد مايشيب له الإنسان، ودونه أن يكون لك فى نفسك ومن ذاتك ذخيرة من قوة الروح وقوة الخلق ماتجابه به مشاق قيادة نفس أمارة بالسوء ،فى مسالك وشعاب ومغارات مليئة بالقواطع والأهوال .

ذلك هو مايتحمله الشيخ . وذلك مايجب أن يوطن نفسه عليه . فإن كان ميت النفس ، عديم الهوى، منقطعاً عن أسباب الدنيا ومتعلقاتها فقد سهلت عليه مهمته ، وإن كانت نفسه حية تسعى فى صدره ، جياشة بالأهواء متعلقة بالأطماع ، فقـــد شقت عليه رسالته ،وربما أرداه مريده فى الأوحال وجرته محاولة سياسته وقيادته شر الموارد .

فالمريد فى مستهل حياته يكون مليئا بخواطر السوء ، ومفعما بالظنون وقريب عهد بالآثام . وتكون نفسه مليئة بالعقد المحيرة ، والرغائب الملتوية ، والتقلبات العاصفة ، يفاجىء شيخه صباحاً بنقض ماأبرمه مساء . ومرة يستحثه ويستعجله ويستقل ماينصحه به، ومرة يستثقل مايأمره به، ويستهزىء بأحكامه، ويستخف بتعاليمه. فكأن الشيخ حيال بحر عميق خداع، فهو تارة عاصف هائج مائج ، وتارة ساكن تعتمل فى أعماقه التيارات الخطيرة ، والدوامات المهلكة ، وتلك هى نفس المريد فى بدء السلوك ، ومن ورائها الشيطان ينفخ فيها ويزيدها هياجاً وحمية ، أو برودا وإعراضا .

وفى ذلك يجب أن يكون الشيخ كالقبطان الماهر الخبير . فيكون حازما حصيفا ثابتا ،لا يتقلب مع مريده ،

ولا تغره أهواؤه ، ولا يغضب عليه ، ولا يعدل عما أعطاه له ، ولا يقطع ماوصله ، متمثلا بخلق النبي عليه أزكى الصلاة والسلام ، إذ يمدحه الله بقوله « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » وليعلم أنه ، كما أن المريد مطالب بالتمسك بالعهد ، فكذلك الشيخ مطالب بذلك . وتمسك الشيخ بالعهد يكون بألا يسرع إلى اليأس من المريد والقنوط من حالته ، وإلى طرده من بابه وقطع صلته به . فإن ذلك من جانب الشيخ نكث بعهده وتنكر له. بل عليه بالصبر مهما بدا منه ، وملاينته وسياسته بما يوافق حاله ، وأن يظل بابه مفتوحا فى وجهه مهما بعد عنه ومهما شرد منه ، ليجده أمامه كلما ضاقت عليه نفسه . وإذا كان نكث العهد من المريد قبيحا — فما أفظعه من الشيخ .

وعلى الشيخ — ألا يطالب مريده بكثير الخضوع وشدة التأدب فى حضرته على نحو ماجاء فى كتب التصوف. لأن ذلك لا يستحقه إلا الشيخ الكامل ، فعلى الشيخ أن يطالب نفسه أولا بالكمال قبل أن يطالب مريده بالامتثال . بل يكون مطالبة الشيخ بذلك لا عن الأمر ، ولكن عن أن يتمحض به مريده، لما يراه من استحقاقه لاحترامه، فيكون حمل المريد على ذلك بما يقدمه الشيخ من دواعى استحقاقه .

وعلى الشيخ أن يكون قدوة صالحة لمريده . فإن التربية لا تكون بكثير نصح ، أو طائل كلام . ولا تكون بالتحايل والمداراة فحسب. بل تكون أولا وقبل كل شىء بظهور الشيخ لمريده فى أكمل مظاهر القدوة الصالحة ، حتى تتشرب نفسه بسلوكه ، ويجده أمامه مثالا ظاهرا يسهل عليه تقليده . وعليه فى ذلك أن يتمسك بدقائق أهداب الشريعة الحنيفية القويمة والآداب الصالحة فى المجتمع ، ثم تحكيم أصل الكتاب وماورد فى السنة على كل مايطرحه المريد على الشيخ . وفى ذلك يجب على الشيخ أن ينكر ذاته ، وأن يضغط نوازع نفسه . وحتى إذا كانت هذه النفس مازالت تجيش فى أعماقه فإن عليه أن يكتم ذلك ولا يظهره ، ويظهر بدله الحسن المقبول . ولا يقال إن ذلك رياء وأنه نفاق . لأن الرياء هو مايتخذ بقصد التفاخر ، وجلب السمعة وإعجاب الناس. أما تزيين الظاهر قصدا لإعلاء طريق الله ، وخدمة للسالكين إليه ، فهو عمل

صـــالح عن إيمان وحسن عقيدة فلا باس به إذا خالف الباطن ، وكان عن مجاهدة للنفس وعن كبح لجماحها . والقول بغير ذلك مؤداه أن يفشو بين الناس الفسق ، وأن يسير أفاضلهم على نهج اراذلهم .

وإذا انعدمت المقدرة الصالحة ، انعدمت معها حكمة اجتماع الناس على طريق ظاهر . وكان كل منهم فى حل من أن يتخذ من أوراد السلف الصالح ومناهجه منفرداً بنفسه دون ضرورة لأن ينتظم فى سلك المريدين المجتمعين حول مرشد لهم ، فمادام هذا المرشد معوجا فان الاجتماع حوله ضرر . وقد قيل « متى يستقيم الظل والعود أعوج ؟! » وقيل :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة لهم إذا جهالهم سادوا

وليست قلة شيوخ التربية من ظواهر هذا الزمان فحسب ، فقد تشكى منه السلف الصالح ، فنراه فى كتابات المتقدمين منهم كالإمام القشيرى والإمام الغزالى مع تقدم زمانهم على زماننا بما يعدم المقارنة والمناسبة بينهما .

والوقع فان مايتطلب فى شيخ التربية من صفات الكمال يجعله نادراً حتى الكاملين لايقدرون على دعوى صلاحيتهم للقيام بالتربية . وإذا وجد ذلك الشيخ لم يصدق الناس أن باطنه كظاهره . وقد أدى ذلك إلى فض الناس عن الطرق ، وإلى شده فضولهم عن استقصاء حقيقة الشيوخ ، ومحاولة كشف سترهم وإساءة الظن بهم .

ولذلك فيكفى للشيخ أن يعتبر نفسه شيخا للتعليم لا للتربية ، بل مجرد أخ أكبر للإرشاد والتوجيه . وأن يحكم ظاهره ، ما أمكنه وعلى الله قصد السبيل . وعلى المريد أن يتوخى حسن الظن به فيصيب من بركة ذلك ماينفعه : فلو كان الشيخ فى مقام الرفاعى وظنه مريده فاسقا أو زنديقا لم ينفعه علو مقام الشيخ . ولو كان الشيخ خالى الوفاض قليل الهمة ، ورآه مريده فى مقام الرفاعى ، لصار بالنسبة له كذلك ، ولنفعه كأنه فى حجر الرفاعى ، وكأنه فى كنف تربيته . فان لم يستطع أن يحسن ظنه به فليتخذه أخا فى الله ، والناجى يأخذ بيد أخيه . وكم من مريد نفع شيخه ورباه .

فكرة «الوقت عند الصوفية»

بقلم الأستاذ

أبو الوفا التفتازانى

مدرس الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب

بجامعة القاهرة

وقد عنى الشاذلية - من الصوفية - بالكلام فى « الوقت » عناية خاصة ، وفكرة « الوقت » عندهم مرتبطة بمبدأ « إسقاط التدبير والإرادة » .

يقول أبو الحسن الشاذلى (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) فى معنى الوقت عن شيخه : « الوقت ليل، والشأن فى الليل الخمود والسكون حتى تطلع شمس المعرفة أو قمر التوحيد ، أو نجوم العلم ، فيستضاء بها » .

ولتلميذه أبى العباس المرسى (المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) تحليل لفكرة الوقت ، فقد حكى ابن عطاء الله عنه قوله : « قال رضى الله عنه أوقات العبد أربعة لا خامس لها : النعمة والبلية والطاعة والمعصية ، ولله عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه ، إذ هداه لها ووفقه للقيام بها ، ومن كان وقته المعصية فسبيله الاستغناء والتوبة ، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر - وهو فرح القلب بالله - ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر » .

فإذا كنا مع ابن عطاء الله السكندرى نجده يتعمق فى تحليل معنى الوقت ، ويعبر عنه بعبارات قوية فيها نفاذ ، وينصح السالك بأن يكون خاضعاً على الدوام لحكمه ، ويحذره من أن يحدث بإرادته فى وقته غير ما أراده الله له ؛ لأن فى ذلك منازعة للربوبية واستناداً إلى إرادته هو ، وكلاهما دال على جهله كل الجهل فى السلوك ،

وفى هذا يقول له : « ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه » .

وفائدة الخضوع لحكم الوقت عند ابن عطاء الله أن يوفى السالك كل وقت هو فيه حقه :

فاذا كان السالك فى وقت المعصية فحقه فيها الاستغفار ، وإذا كان فى وقت الطاعة فحقه فيها شهودها منة من الله وفضلا ، وإذا كان وقته البلية فحقه الصبر ، وإذا كان وقته النعمة فحقه فيها الشكر لله .

وهكذا يكون لكل وقت من أوقات السالك حق من حقوق العبودية لله لابد أن يؤديه فى الحال دون نظر إلى غيره .

ولا يصح للسالك أن يطلب من الله أن يخرجه من حالة إلى حالة أخرى ، أو بعبارة أخرى من وقت إلى وقت وإنما أدبه أن يترك انتقاله إلى إرادة الله ، وفى هذا المعنى يقول ابن عطاء الله للسالك : « لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها ، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج » .

وينبغى على السالك أن يعرف أن حقوق الأوقات لا تقبل التسويف بحال من الأحوال ، وأنه إذا فاته شىء منها لم يمكنه قضاؤه على الإطلاق .

ولذا ميز ابن عطاء الله له بين نوعين من الحقوق : حقوق فى الأوقات ، وحقوق الأوقات، فالأولى هى وظائف العبادات الظاهرة من الصوم والصلاة وغيرهما ، والسالك إذا فاته شىء منها أمكنه قضاؤه فى وقت آخر ، أما الثانية فهى حقوق المعاملات الباطنة التى تقتضيها أحواله وارداته . وأوقاته ما هو عليه فى كل منها ، ولكل وقت منها حق ينبغى له أن يؤديه فى الحال ، وإلا لم يصل . وفى هذا المعنى يخاطب ابن عطاء الله السالك قائلا له : « حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها ، إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد ، فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه ؟ ! »

ومن ثم نتبين مع ابن عطاء الله السكندرى أن الخضوع لحكم الوقت من أهم آداب السلوك إلى الله ، وأنه قائم على أساس من إسقاط الاختيار والتدبير ، لأن السالك إذا كان خاضعاً لحكم وقته فمعنى هذا أنه لا تدبير له بوجه من الوجوه ، والتدبير فى فلسفة ابن عطاء الله الصوفية يعنى النظر فى المستقبل وما تؤول إليه الأمور فيه

بشكل يؤرق بال الإنسان ، وهو يشعر بعدم الصدق فى العبودية لله : فنحن نفرح ونألم، نفرح حين تقبل علينا الدنيا بأسبابها المختلفة ، فنتوهم أن لإرادتنا مدخلا فى الأمر ، وقد يحدث أن تزول عنا هذه الأسباب العارضة على الرغم منا فنألم لذلك أشد الألم وتصبح حياتنا بين تعاقب الفرح والألم عذاباً نفسياً لا يطاق، مبعثه الفكرة الملحة فى أمر المستقبل وكيفية الاحتفاظ بمظاهر الدنيا وأسبابها . ولو سكن الإنسان منا فلم يشتد فرحه بما يقبل عليه من أسباب الدنيا ، وخضع لحكم وقته كما يقول الصوفية لم يحزن قط لوجود زوالها عنه ، ولو اتصف بالعبودية لما أفرحه بقاؤه وآلمه زواله وبذلك يستطيع الإنسان أن يتقبل المصائب والشدائد ، ويتمكن من الوقوف على قدميه فى معترك الحياة ، ويكافح كفاح الشجاع الثابت الواثق بالله .

إن الصوفية يدعون إلى العمل المثمر لا إلى التواكل ، وها هو ابن عطاء الله يقول : « الرجاء ما قارنه عمل ، وإلا فهو أمنية » ، أليست هذه الحكمة العطائية جديرة بأن يفيد منها الناس فى حياتهم اليومية؟ إن الانسان منا كثيراً ما ينطوى على نفسه متمنيا لها الأمانى المختلفة ، فيضيع وقته فى التمنى ولا يصل إلى هدف ما ، ولو أنه أشغل وقت التمنى بالعمل المتواصل لوصل - أو ساهم على الأقل فى الوصول إلى هذا الذى يتمناه دون إضاعة وقت .

حقاً إن الرجاء عند صوفيتنا - وكما ينبغى أن يكون عند جميع الناس - لابد أن يقارنه العمل المتواصل الشاق فى سبيل ما يرجو الإنسان ، وبهذا يكون الرجاء دافعاً إلى العمل الإيجابى المنتج ، وليس دافعا إلى الهروب والنكوص وإضاعة الوقت فى التخيلات والأوهام الكاذبة .

إن التفكير فى الماضى مذموم ، لأن الماضى قد انتهى ولا فائدة من التفكير فيه إلا بمقدار العظة ، والتفكير فى المستقبل مذموم ، لأن المستقبل لا علم لنا به ، ولا يمكن أن نخضعه لإرادتنا ، فلم يبق إلا أن نعيش فى « الوقت » وأن نشغله بالحق لا بالباطل ، وألا نجعله قاطعا لنا ، وبذا يكون الفرد منا « ابن وقته » بمعنى أن يشغل وقته بالعمل المتقن المثمر ، وهذا النوع من الفلسفة الصوفية « عملى » لا « نظرى » ويضفى على الإنسان معنى ساميا ، ويزيل التعارض بين الحياة التعبدية وحياة المجتمع الذى نعيش فيه .

الامام محمد عبده

يحدثنا عن شيخه الصوفى

فى حياة كل عظيم روح من التصوف وشعاع من هداه، ظاهرة أصبحت من معالم التاريخ ومن آياته، وغدت سطوراً فى مطلع الدراسات العالمية. التى تستهدف الحديث عن صناع التاريخ وصناع الحياة.

حتى الذين ظُن بهم، أو قيل عنهم أنهم من خصوم المنهج الصوفى عاشوا حياتهم صوفية، وفتح لهم التصوف أبواب الحياة الصاعدة.

والإمام محمد عبده: أستاذ هذا الجيل الذى يحمل القلم. ويحدثنا هنا عن حياته الأولى؛ وما فيها من جمود وضيق وجهل، ثم يسر الله له رجلا صوفيا أخذ بيده إلى النور والمعرفة فإذ بالدنيا تشرق، والخير يتدفق، والأفق يتسع، يقول الإمام:

« حملنى أبى إلى طنطا وكانت سنى أربعة عشر عاما لأدرس العلم الأزهرى وبدأت بتلقى شرح الكفراوى على الأجرومية فى المسجد الأحمدى وقضيت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئا ».

وعاد الصبى إلى قريته بالبحيرة يائسا من العلم والتعليم، ليشتغل - بالفلاحة - بالحقل، وتزوج واعتزم الحياة بين الحقول. وبعد زواجه بأربعين يوما جاء والده إليه وأمره بأن يعود إلى طنطا ليواصل تعليمه فأبى، ولكن والده حمله إليها قسراً. وألم بقلب الصبى حزن أليم غليظ، كيف يعود إلى دروس لا يفقه منها شيئا، وإلى مجلس بليد لا جدوى فيه.

وهرب الصبى من جديد، هرب إلى إلى قرية خال أبيه، إلى الشيخ درويش وكان الشيخ درويش من أبناء التصوف، ومن رجال الطرق الصوفية

وأدرك الشيخ حالة الفتى، ولمس ضيق نفسه بما يلقى إليه من علم أشبه بالأحاجى والرموز.

يقول محمد عبده:

« جاءنى هذا الشيخ وبيده كتاب يحتوى على رسائل كتبها السيد محمد المدنى أحد أئمة الصوفية إلى بعض مريديه بالأطراف بخط مغربى دقيق وسألنى أن اقرأ له فيها شيئا لضعف

بصره . فدفعت طلبه بشدة . ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ، ونفرت منه أشد النفور ، ولما وضع الكتاب بين يدى رميته إلى بعيد ، لكن الشيخ تبسم وتجلى فى ألطف مظاهر الحلم . ولم يزل بى حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر ، فاندفع يفسر لى معانى ماقرأت بعبارة واضحة ، تغالب أعراضى فتغلبه ، وتسبق إلى نفسى . وبعد قليل جاء الشبان يدعونى إلى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة فى نهر قريب من القرية . فرميت الكتاب وانصرفت إليهم . وبعد العصر جاءنى الشيخ بكتابه ، وألح على فى قراءة شىء منه فقرأت ، وفسر ، ثم تركته إلى اللعب . وفعل فى اليوم الثانى كافعل فى الأول . أما اليوم الثالث فقد بقيت أقرأ له فيه . وهو يشرح لى معانى ما أقرأ ، نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها . فقال لى: إنه فى حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة ليعمل بعض العمل فيها فطلبت منه إبقاء الكتاب معى فتركه ومضيت أقرأه ، وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها إلى أن جاء وقت الظهر وعصيت فى ذلك اليوم كله رغبة فى اللعب وهو ينازعنى إلى البطالة . وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه ، فأبان معناه على عادته ، وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة فى المطالعة والميل إلى الفهم.

« ولم يأت على اليوم الخامس إلا وقد صار أبغض شىء إلى هو ما كنت أحبه من لعب ولهو ونخفخة وزهو وعاد أحب شىء إلى هو ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم » .

وهكذا تمكن الشيخ الصوفى من أن يحل بكياسة وسعة صدر عقدة فى نفس الفتى كانت حياته كلها ترزح تحتها

إن هذا الدرس اللبق الذى ألقاه عليه الشيخ درويش حبب إليه العلم فعاد إلى طنطا ، وفهم المرة الأولى ما يقال ثم انتقل إلى الأزهر وبدأ حياته الجديدة مجاوراً فيه .

ولكن تأثير هذه اللمحات الصوفية التى تلقاها من شيخه حملته على أن ينفر من المجتمع وأن ينطوى فى داخل نفسه يغرق فى تأملاته حتى أنه كان يستغفر الله إذا كلم شخصا لغير ضرورة .

إلا أن الشيخ درويش ، ما كان يفهم التصوف على هذا النحو ، وإنما كان التصوف عنده علماً وحركة وإنتاجاً ، والعلم عنده لا يقتصر على هذه الأوراد وهذه اللحظات فى حلقات الذكر ، وهذه المكاشفات والدرجات ، وإنما كان شيئا أهم ، وأعم .

ولنا أن نتصور قيمة المدرسة الفكرية الصوفية الكبرى التى كانت

موجودة فى العالم الإسلامى ، إذا علمنا أنه كلما عاد محمد عبده من الأزهر فى إجازته كان الشيخ درويش يسأله عما درس ، وبعد أن يسمع منه طرفاً من هذه البرامج العاجزة يقول له : هل درست المنطق؟ هل درست الحساب ؟ هل درست الهندسة ؟ ألخ . فيجيبه الطالب الأزهرى : بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة فى الأزهر فيرد عليه فى عزم وإصرار :

— طالب العلم لا يعجز عن تحصيله فى أى مكان . . يروى محمد عبده : « فكنت إذا رجعت الى القاهرة ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت أخطىء فى الطلب وأخرى أصيب . إلى أن جاء المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر أواخر سنة ١٢٨٦ هـ وقد صاحبته، وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية والكلامية »

وقد أثارت دروس الأفغانى كثيراً من الجدل والشكوك حولها ففزع محمد عبده إلى الشيخ درويش يستنجد برأيه السديد فيجيبه كما لو كان أرسطو يتكلم . . يقول له :

« إن الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته، وإن أعدى أعداء العليم هو الجاهل . وأعدى أعداء الحكيم هو السفيه، وما تقرب أحد إلى الله بأفضل من العلم والحكمة فلا شىء من العلم بممقوت عند الله ، ولا شىء من الجهل بمحمود لديه ، إلا ما يسميه بعض الناس علماً ، وليس فى الحقيقة بعلم كالسحر والشعوذة ونحوهما ، إذا قصد من تحصيلهما الإضرار بالناس » فليتأمل رجال العلم والتربية .

ونختم قصة الشيخ بآخر ما ذكره عنه مريده : « قال لى عند ما رجعت الى محلة نصر فى سنة ١٢٨٨ هـ إلى متى هذه العزلة ، وما الفائدة من العلم وتحصيله اذا لم يكن لك نور تهتدى به وتهدى به الناس؟ ان المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك، وأن من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة . فعليك أن تخالط الناس وتعظهم وترشدهم الى الطريقة القويمة والسنة الصالحة » .

فذكرت له اشمئزازى من الناس ، فقال لى : هذا من أقوى الدواعى إلى ما حثثتك عليه ، فلو كانوا جميعا هداة مهديين لما كانوا فى حاجة إليك، وما زال بى حتى وجد عندى شىء من الألفة مع الناس والاستئناس بمكالمتهم . وفى شوال من تلك السنة . ودعنى وبكى بكاء شديدا ومات فى استراليا رحمه الله .

مشارب القوم

للأستاذ السيد محمد عبد الشافعي

سالكوا طريق الحق سبحانه وتعالى طالبوا الدخول فى حضرته والأنس به ينقسمون إلى أقسام أربعة: إلى عباد . وزهاد . وعارفين . ومحققين . فالزهاد والعباد سلكوا إلى الله تعالى من طريق الزهد والمجاهدة . قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) والعارفون والمحققون سلكوا إلى الله تعالى عن طريق العلم والمعرفة ، قال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) العباد والزهاد سلكوا إلى الله تعالى من طريق الزهد فى الأشياء ، لأنهم نظروا إلى ظاهرها وظاهرها غره . والعارفون والمحققون سلكوا إلى الله تعالى من طريق العلم والمعرفة ، لأنهم نظروا إلى باطن الأشياء وباطنها عبرة - أما دليل عبرتها فقوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) وقوله تعالى (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وقوله تعالى (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وأما دليل عبرتها: فقوله تعالى (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) وقوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) فلما أن نظر الزهاد والعباد إلى ظاهر الأشياء وما فيها من الفتن وكانو على يقين من صحة الإخبار الإلهى استوحشوا منها ، وأعرضوا عنها ، لأنهم لا يرون فيها جمالا يؤنس به ، ولا كمالا لا يقفون معه ، ومن ثم حملهم الحال على العزلة طلباً للأنس بربهم فى خلواتهم فطال

بهم الأمر ، فلقبوا بالزهاد والعباد ، لأن من أكثر من شيء عرف به . والزهد هو انصراف الرغبة عن شيء إلى ما هو خير منه . ويستلزم مزهوداً فيه ومرغوباً فيه . فكل من ترك شيئا لشيء يعتقد أنه خير منه فحاله بالإضافة إلى الأول يقال له زهد . وحاله بالإضافة إلى الثاني يقال له رغبة وحب . فمن ترك الدنيا للآخرة فهو زاهد ، ومن ترك الآخرة للدنيا فهو زاهد ، إلا أن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد على من زهد في الدنيا . كمثل الإلحاد يطلق على كل ميل في الوضع اللغوي . إلا أن العادة خصصته لمن مال عن الطريق الأقوم .

ثم للزهد مراتب ثلاث: المرتبة الأولى أن يزهد الإنسان في الدنيا وهو مشتهٍ لها بقلبه . وصاحب هذه المرتبة بين عاملين : إذ نظر إلى الدنيا وزينتها جذبه عامل زينتها إليه . وإذا نظر إلى الآخرة وقيمتها جذبه عامل النظر إلى حسن ثوابها إليه . ولتردده بين هذه العوامل كان على خطر عظيم ، لاحتمال ترجيح جانب زينتها على الآخرة ، وهذا في الحقيقة لا يقال له زاهد ، وإنما هو متزهد . أما المرتبة الثانية : فهي أن يزهد الإنسان في الدنيا بإرادته واختياره خائفاً من فتنتها ناظراً إلى ثواب الله تعالى في الآخرة ، تحققاً بقول ربه (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فيكون مثله كمثل من ترك شيئاً خسيساً لينال بتركه شيئاً عظيماً . وصاحب هذه المرتبة وإن كان أرقى من الأول لاطمئنان قلبه في زهده إلا أنه مشاهد للزهد ، وربما أوقعته هذه المشاهدة في الاغترار بحاله وامتن على الحق بزهده ، مالم يدركه الحق بعنايته أما الدرجة الثالثة : فهي أن يزهد الإنسان في كل ماسوى الله ، من دنيا أو آخرة ثم يزهد في زهده ، فلا يرى أنه ترك شيئاً لينال ما هو خير منه ، فيكون كتاجر ترك درهماً ليأخذ درهمين بعد قليل ، بل يرى أن نعيم الدنيا والآخرة بالنسبة إلى نعيم الأنس بالله في الدنيا ، ولذة النظر إلى وجهه في الآخرة لا قيمة له أصلا . فيكون مثله كمثل من أراد الدخول إلى حضرة الملك فمنعه كلب واقف على باب قصره فرمى له بلقمة فانشغل الكلب بها ، وتمكن هو من الدخول في الحضرة ، وأخذ حظه من الأنس والمشاهدة ، ثم شغله الأنس بالملك عن كل ما سواه . وهذه الدرجة هي أقصى غايات الزهد ، ومنتهى همة الزاهدين

البقية على صفحة ٦٧

مكتبة القرآن

للدكتور محمد خلف الله أحمد
عميد كلية الآداب — بجامعة الإسكندرية.

اختص الله الأمة الاسلامية - فيما اختصها به من ضروب البر والتكريم - بأن أنزل على رسـولها كتابا مبيناً محفوظا على الأيام ، جمع لها فيه أصول العقيدة الدينية السليمة ، ورسم لها موازين الحياة الإنسانية الصالحة ، حكمته أن يجعل هذا الكتاب مصدر ثقافتها ومحور علومها التى عرفت بها بين الأمم. فإذا عدت روائع الكتب التى أثرت فى الحضارات الإنسانية عامة ، وافتخرت كل أمة بنصيبها منها كان من حق الأمة الإسلامية أن تضع على رأس قائمتها كتابها الأكبر الذى سارت وتسير على هدية مئات الملايين من البشر، وشاركت وتشارك فى دراساته جهود العلماء من مختلف الأجناس والملل

والحق أن الذى يتعرض للحديث عن هذا الكتاب يجد نفسه أمام بحر لا ساحل له ، وطود شامخ يصعب مرتقاه : فهو — من جهة — خاتمة الرسالات التى حملت هدى السماء إلى الأرض. وأنى لبشر أن يحيط بأسرار وحى السماء ! وهو - من جهة ثانية - برهان صدق مكن الله به لدينه وقطع حجة أعدائه ومعارضيه . ومن جهة ثالثة دستور محكم ، قامت على أساسه نهضة فقهية . وتشريعية ، واشتقت منه مناهج سلوك وأخلاق وتربية ، ومدارس تصوف وفلسفه . ومن جهة رابعة آية بيان وإعجاز ، سنت للأمة العربية طريق البلاغة والفصاحة وحفظت لها عبقرية لغتها حية متجددة على مر الأزمان. وكل واحدة من هذه الجهات فتحت أمام الباحثين فى مختلف العصور والبلاد آفاقا فسيحة من التأليف والتصنيف ، وأوحت اليهم بدراسات خصبة مازالت تنمو وتنضج حتى استوت فى النهاية علوما واضحة المعالم والحدود ،

هذا الكتاب الكريم سجل خالد

لأحداث الرسالة وكفاحها ، ونشوء الدولة الإسلامية وإرساء قواعدها . فعلى هدى نصوصه نستطيع أن نتابع ميلاد هذا الدين منذ أن هتف هاتف السماء بمحمد : (إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) إلى أن بلغ محمد رسالته ، وأدى أمانته ، وأوشك اللحاق بربه وجاء الأمر من السماء للمسلمين يقول(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) .

فى تلك المرحلة الزمنية الحافلة التى غيرت وجه التاريخ كانت آيات هذا الكتاب الكريم تنزل منجمة حسب الحوادث ومقتضيات الأحوال. وكان يتولى كتابتها للرسول «على بن أبى طالب» و « عثمان بن عفان » فإن غابا كتبها « أبى بن كعب » « وزيد ابن ثابت » . وتوفى رسول الله وآيات القرآن وسوره مثبتة فى الصحف المتفرقه ، وفى صدور الحفاظ من الصحابة . فلما جاء « أبو بكر » أمر بجمع تلك الصحف فظلت عنده ، حتى انتقلت إلى « عمر » ثم إلى ابنته « حفصة » فلما تولى « عثمان » أخذ الصحف من حفصة وعهد إلى جمع الصحابة : منهم « زيد ابن ثابت » و «عبدالله بن الزبير» « وسعيد بن العاص» بجمعها فى مصحف وكتب منه نسخا وزعت على الأمصار وهكذا تم فى الاسلام وقبل عهد المطبعة وانتشار الكتابة جمع أول كتاب عربى إسلامى ونشره فى الأقطار على صورة محفوظة بأمر الله لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

هذه العملية الكبرى من الجمع والنشر ، والتى بدأها الرسول باتخاذ الكتاب لوحيه، وأتمها الخلفاء والقراء من أصحاب الرسول ، على طريقة دقيقة تمثل حلقة مهمة فى أمجاد الإسلام الثقافية ، وتحقق التوجيه الإلهى الذى تضمنته أول سورة نزلت من القرآن . وتدل كما قال العلماء دلالة لا يتطرق إليها الشك، على أن هذا الكتاب المتلو المحفوظ المرسوم فى المصاحف هو الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ، وتلاه على من فى عصره ثلاثا وعشرين سنة ، وقام به فى المواقف ، وكتب به إلى البلاد ، وتحمله عنه إليها من تابعه وظهر الظهور الذى لا يشتبه على أحد وانتشر فى أرض العرب كلها ثم انتشر فى الأمم المجاورة وفى الأمم البعيدة وحفظه الناس وتنقلت به الرجال

وتعلمه الكبير والصغير ، إذ كان عمدة دينهم، ومادة صلواتهم والمصدر الأول لأحكامهم ، وتناقله خلف عن سلف ثم مثلهم فى كثرتهم وتوفر دواعيهم على نقله ، حتى انتهى إلينا كاملا محفوظا كما أنزل . وهذه خصوصيات الأمة الإسلامية وشواهد فضلها عند الله

هذا الكتاب المبين يصور لنا منهج الرسالة فى المرحلة المكية : من مناهضة الشرك . والدعوة للتوحيد ، وتمجيد الله والتسبيح بحمده . وتوجيه النظر إلى آثار قدرته ومظاهر نعمه ، ومجادلة المشركين، ودعوة أهل الكتاب إلى كلمة سواء. وإبراز العظمة فى أحوال الأمم السابقة ، وقصص الأنبيا. والرسل . وفرض الصلاة التى هى عماد الدين . ثم يصور كيف أخذ المنهج فى المرحلة المدنية صورة جديدة من الجهاد والتنظيم والتشريع : فأذن للمسلمين فى الدفاع المسلح عن أنفسهم ومقابلة العدوان بمثله ، وخاضت جماعتهم الناشئة سلسلة من المعارك والملاحم ، نصروا فى الكثير منها بإيمانهم وقوة يقينهم وسداد قيادتهم وهزموا فى بعضها حين أهملوا الأخذ بأسباب النصر والاتباع للخطة المرسومة ، وأكمل الله لهم قواعد دينهم من صيام وزكاة وحج ،ووضع لهم نظم معاملاتهم وأحوالهم الشخصية ، وسن لهم مبادىء الحياة الأخلاقية الفاضلة ، وأدبهم بأدب الاجتماع فأحسن تأديبهم . كل هذا فى نظم بديع وتأليف عجيب ، متناه فى البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه . لا يتفاوت ولا يتباين على كثرة الوجوه التى يتصرف فيها من تقويم وتشريع . وذكر وقصص ، ومواعظ وأحكام . ووعد ووعيد ، إنما هو أسلوب متناسب فى فصاحته ، بالغ فى تأثيره ، ينفذ إلى أعماق الضمائر ويأخذ بمجامع القلوب ، لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله .

وعلى هذا استقام للمسلمين فى حياة رسولهم كتابهم المشرع لدولتهم ، والمنظم لحياتهم . والموجه لعقولهم وقلوبهم وأذواقهم. فما فارقهم الرسول حتى انتدب أحبارهم للعناية بهذا الكتاب درساً وتفسيراً ، وحتى بدأوا يجندون لفهمه مأثور أدبهم ولغتهم . وما كاد ينتصف القرن الثانى من الهجرة، وتستعد عبقريتهم للبحث والتأليف ، حتى أخذوا يكتبون الرسائل والكتب فى معانى القرآن ومجازه . ونظمه وبيانه . ومحكمه ومتشابهه ، وغريبه ومشكله ، ثم آتى

تخصصهم العلمى ثماره منذ نهاية القرن الثالث . فألفت الكتب الجامعة فى التفسير والإعجاز ، وظهرت كتب النقد والبيان ، متأثرة بأدب القرآن كاشفة عن وجوه بلاغته وجلال نظمه ، وتتابعت جهود المؤلفين المسلمين فى الميادين القرآنية المختلفة ، واتسعت المكتبة الإسلامية فى هذه الميادين اتساعاً لم تحظ بمثلة مكتبات الأمم الأخرى . وأخذت البلاد الإسلامية فى الشرق والغرب نصيبها من هذه النهضة ، وكان لمصر ومعاهدها وعلمائها فى العصور الوسيطة نصيب موفور منها ، ولا يزال لها فى العصور الحديثة مكان الصدارة فى دراسات القرآن والعلوم الإسلامية التى تفرعت منه .

على أن أثر الكتاب الحكيم فى النهضة الفكرية للمسلمين لم يقف عند علوم القرآن وعلوم اللغة والأدب فحسب ، بل كان هو النبراس الذى اهتدى به فلاسفة الاسلام ومتكلموه فى معالجة قضايا الوجود ، وفى مناقشة التراث الفلسفى القديم ، وتعديل اتجاهاته وكان هو المعين الذى اغترف منه فقهاء المسلمين ومشرعوهم وعلماء الأخلاق والتربية والتصوف من بينهم ، وكان وسيظل - مصدر قوة المسلمين فى حياتهم وكفاحهم فى سبيل حرياتهم وجهادهم فى نشر مبادىء الخير والحق وتوفير الكرامة والعدالة لبنى الانسان على السواء .

والقرآن بعد هذا كله هو الكتاب الإسلامى الأول الذى حرص الغرب فى نهضته الحديثة على أن ينقله إلى لغاته ويشغل بدرسه . وقد تخصص فيه من الغربيين علماء مشهورون ، كتبوا فى تاريخه . وفى مذاهب تفسيره ، ونشروا بعض الدراسات الإسلامية القديمة عليه ، واستلهموه كثيراً من وجهات النظر فى بحوثهم التى قاموا بها عن الجبر والاختيار ، والخير والشر ، ونظرة الأديان إلى الإنسان وصلته بالله ، ومذاهب الأخلاق ونظرياتهم المختلفة وهكذا يتغلغل أثر القرآن فى الفكرة والحضارة ، وتشع منه أضواء المعرفة على الشرق والغرب ، ويحس المسلمون بالغبطة الروحية حين يذكرون أن ثقافتهم تفضل الثقافات الأخرى بذلك القبس السماوى الوضاء . وأن مناهج تربيتهم وتعليمهم تستمد أصولها وتوجيهاتها من كتاب الخالق الحكيم الذى يعلم أسرار النفوس وطبائعها ونزعاتها ، ويعلم مابه صلاحها وما به فسادها ، وأن تعاليم دينهم التى وضع نظامها ذلك الكتاب قد أثبتت على مر الأيام أنها أقوى غاية وأهدى سبيلا من النظم التى تحاول العقول البشرية الاتفاق عليها والوصول بها إلى ما يحقق سعادة المجتمع الإنسانى .

الطـــريق إلى الله

شبهات حول التصوف

للأستاذ السيد محمد الحافظ التيجانى

(٣)

الشبهة الخامسة : الزعم بأن الطرق تفرقة وشيع فى الدين . وهذا خطأ فقد اختلف الصحابة والتابعون وتابعو التابعين وكانوا مع ذلك أحباباً فى الله إخوانا فى الله مع أن خلافهم فى أركان الإسلام العملية من صلاة وصيام وحج، وفى المعاملات، وقد أجمعوا على أن هذا الخلاف فى الأمور الاجتهادية لا يضر فى الدين، لأن عقيدتهم عقيده واحدة .

وهذا الخلاف — بإجماع علماء المسلمين — فى الحلال والحرام، لا يجعل أولئك المختلفين فرقا مختلفة، ولا شيعا متعادية، حيث لا يفسق بعضهم بعضا ولا يكفر بعضهم بعضا.

وقد اختلف الصحابة فى فهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهرهم، وأقر هذا الخلاف، لأن كلا منهم لا يريد إلا إطاعة أمره صلى الله عليه وسلم .

وإنما اعتبروا من شذ فى العقيدة عن هؤلاء الجماعة، أو كفرهم، أو فسقهم، أو ضللهم، فهو الكافر أو الفاسق أو الضال، وما زالوا بخير ولله الحمد .

ولا يعقل عالم أن يحتمل العلماء خلاف الأمة فى الفروع إلا الصوفية، مع أنهم مقيـــدون بأصول الفقه المعروفة فى مذاهب الأئمة المتبعة، ولم يخرجوا عن إجماع المسلمين لا فى كبيرة ولا فى صغيرة، فيسعهم ما وسع الأمـــة من الاختلاف فى الأمور الاجتهادية، متى كان المرجع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولنحكم العلم الصحيح فى الخلاف الذى بين الطرق، ولنزنه بميزان الشرع الشريف، لا بميزان الأهواء، هل

هناك خـــلاف فى العقيدة بين أهل طريقة وأخرى ؟ الجواب : لا . كلهم على عقيدة واحـــدة ، هى العقيدة المعروفة عن خير القرون ، وقد بينها السلف الصالح من الفقهاء والمحدثين وعلماء التوحيد والصوفية ، ليس بينهم فيها خلاف ، وخلاصتها توحيد الله عز وجل ، وتنزيهه عن كل نقص وتشبيه ، وهم يؤمنون بكل ما جاء عن الله ، على مراد الله عز وجل ، وكل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهل أحد من أهل الطرق أحل حراما مجمعا على تحريمـــه ؟ أو حرم حلالا مجمعاً على حله ؟ حاشا وكلا ومعاذ الله .

وهل بينهم وبين أنفسهم خلاف فى الفروع تتسم به طريقة دون أخرى ؟

كلا . فإنهم متفقون حتى فى الفروع فإن بعض البلاد تكون فيها طرق مختلفة ولكن مذهبهم فى الفقه مذهب واحد. فهم متفقون فى الأصول ، متفقون فى الفروع ، شأنهم شأن جميع الأمة .

وإذاً فماذا خلافهم ؟

الجواب على ذلك :

أنه لاخلاف بينهم ، وكل ما فى الأمر أن الشرع الشريف أطلق للأمة الاختيار فى النوافل بحسب الطاقة . والحديث الصحيح فى سؤال الأعرابى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بين له الفرائض ، هل على غيرها ؟ قال لا إلا أن تطوع .

فدعوى أن الصوفية فرقوا الدين كذب واختلاق، ودليل النزق والطيش وعدم الفهم . وإذا كانت عقائد أهل الطرق واحدة ، وحلالهم وحرامهم واحد ، فاختيار بعضهم من نوافل الخير غير ما اختار الآخر ، لا يضر بإجماع علماء المسلمين .

وما رأينا شيوخ الطرق تكلموا عن طريق أخرى ورجالها إلا بكل خير واحترام ، وكلام أى شيخ من السادة الصوفية حجة عند أهل الطرق قاطبة ، وكل يستدل فى كتبه بأقوال جميع أهل الطرق ، ولا عبرة بمنافسة التلاميذ القاصرين الذين لم يعرفوا بعد أصول الطريق ، فليس فى ذلك أى حجة على أساس الطريق ، فإنهم خالفوا قواعد الطريق التى انتسبوا إليها ، ومن تمكن فى أى طريق سلم لسائر الطرق ومن درس التصوف والطرق

الصوفية دراسة نزيهة ، عرف أنها مدارس أخلاقية لتهذيب النفوس وترويضها عمليا على الطاعة والبلوغ بها إلى أقصى درجات المعرفة ، وأيقن أن بدايتها جميعا التوبة ، وسيرها الترقى فى مدارج الشريعة بالتقرب بنوافل الخير ، ونهايتها المشاهدة المطابقة للشرع وأن كلا اختار سبيلا يراه أسهل فى الوصول إلى الغاية ، أو يراه أليق بحاله مع احترامه للجميع .كاختلاف المدرسين فى مدرسة واحدة ذات فصول عدة فى تدريس مقرر واحد . فلكل طريقته فى التعليم والكتاب واحد .

أحاديث تصنع الحياة

عن أبى ذر رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس ، قيل : يارسول الله من أين لنا صدقة تتصدق بها ؟ فقال :

إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .. وتميط الأذى عن الطريق ، وتسمع الأصم ، وتهدى الأعمى ، وتدل المستدل عن حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك .

رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى مختصرا وزاد فى رواية : وابتسامك فى وجه أخيك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم من طريق الناس صدقة ، وهديك الرجل فى أرض الضالة لك صدقة .

أنت الحـــق

للأستاذ محمود شلبى

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل :

اللهم لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ، ولك الحمد ، أنت قيام السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ، ومن فيهن ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ... اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى ، ما قدمت وما أخرت ، وأسررت وأعلنت .. أنت إلهى . لا إله إلا أنت . (مسلم)

قال النووى : (أنت نور السماوات والأرض) قال العلماء معناه منورهما وخالق نورهما .

(أنت قيام السماوات والأرض) قال ابن عباس الذى لا يزول ، وقال غيره هو القائم على كل شىء ، ومعناه مدبر أمر خلقه .

(أنت الحق) قال العلماء : الحق فى أسمائه سبحانه وتعالى معناه المتحقق وجوده ، وكل شىء صح وجوده وتحقق فهو حق، ومثله قوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق . . . أى كله متحقق لا شك فيه .

(اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لى) إلى آخره . معنى أسلمت استسلمت وأنقدت لأمرك ونهيك . وبك آمنت أى صدقت بك وبكل ما أخبرت وأمرت ونهيت . وإليك أنبت أى أطعت ورجعت إلى عبادتك ، أى أقبلت عليها ، وقيل معناه : رجعت إليك فى تدبيرى أى فوضت إليك ..

وبك خاصمت أى بمـــا أعطيتنى من البراهين والقوة خاصمت من عاند فيك وكفر بك ، وقمعته بالحجة وبالسيف وإليك حاكمت أى كل من جحد الحق حاكمته إليك وجعلتك الحاكم بينى وبينه لا غيرك بما كانت تحاكم إليه الجاهلية وغيرهم من صنم وكاهن ونار وشيطان وغيرها ، فلا أرضى إلا بحكمك ولا أعتمد غيره .

ومعنى سؤاله صلى الله عليه وسلم المغفرة مع أنه مغفور له أنه يسأل ذلك تواضعا وخضوعا وإشفاقا وإجلالا ، وليقتدى به فى أصل الدعاء والخضوع وحسن التضرع فى هذا الدعاء المعين .

وفى هذا الحديث وغيره مواظبته صلى الله عليه وسلم فى الليل على الذكر والدعاء والاعتراف لله تعالى بحقوقه والإقرار بصدقه ووعده ووعيده والبعث والجنة والنار وغير ذلك انتهى .

* * *

إنى أرى فى هذا الحديث إشعاعا عجيبا .

أرى فيه أنه ليس من قول البشر وليس فى طاقة بشر . فإن الكلام يدل على صاحبه ، ويكشف عن خبيئة نفسه فأى كلام هذا ؟ .

إنه شىء لا أستطيع أن أعبر عنه .!! شىء عال غاية العلو ، مشرق غاية الإشراق ، ليس نوره من نور هذه الدنيا ، ولا علوه بشىء يستطاع الوصول إليه .

إنها النبوة تتكلم : —

مع من تتكلم ؟ .

مع الله !!!

وفى أى الأوقات ؟ ! .

فى خير وقت . . فى السحر ... عندما تهجع الجفون ، ويسكن الليل ، وتجمد الحركة ... وتخشع الأصوات للرحمن ... فى ذلك السكون الجميل ... ينبعث صلى الله عليه وسلم ، ويتسلل من فراشه ... لأنه على ميعاد ...

من هذا الذى واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

إنه الرحمن ... حيث قال له « ... قم الليل إلا قليلا ... »

فصار ذلك أمراً ، بل فرضا عليه صلى الله عليه وسلم ...

فهل كان ذلك فرضا ، فيه ثقل الفريضة على النفس ؟ .

كلا ... بل هو ميعاد ضربه الله لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ... ليس شيئا ثقيلا ثقل الفرائض ، ولا

شاقا مشقة الواجب ، وإنما هو موعد ضربه الرحمن لحبيبه ، فانشرح له صدر الحبيب صلى الله عليه وسلم ، وطرب له فؤاده ، وقرت به عينه ...

ومن يومها .. من يوم أن ضرب الله له الليل موعدا ، وهو صلى عليه وسلم يحضر إلى ربه فى نفس الميعاد ، لم يتخلف عنه ليلة واحدة حتى لحق بالرفيق الأعلى . . عجبا ! ! عشرون عاما أو تزيد والنبى صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل .. لم تفلت منه ليلة واحدة ، خلال هذه المدة الطويلة ! !

إنه الحب ... الحب الحق .. حب الرحمن لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه سبحانه وتعالى .

حب صادق أشد من الصدق نفسه.

فالمحب هو الله ، والحبيب هو رسول الله .. ولا أحد أصدق من الله حبا ، ولا أحد أصدق من الرسول حبا ! .

ووقع الاختيار على محمد ...

من ؟ .

من الله جل وعلا ...

وتفضل الله تعالى عليه فأحبه ... فامتلأ القلب النبوى بحبه سبحانه ....

فهل يطيق النبى صلى الله عليه وسلم ، بعد ذلك بعدا عن الله ... عن المحبوب ؟؟

كلا ... فكان السحر .. كان الليل موعد اللقاء بين الله وحبيبه .

من أجل ذلك نرى النبى صلى الله عليه وسلم ، ينام قليلا ثم يقوم إلى صلاته ، وينام ثم يقوم ، لا يهدأ فى نومه هدوء الناس فى نومها ... وإنما ينبعث مشتاقا إلى ربه . تواقا إلى اللقاء .

فلم يك قيام الليل كفريضة على النبى صلى الله عليه وسلم بالمعنى الذى يفهمه الناس من الفرائض .. وإنما كان شيئا يتمناه صلى الله عليه وسلم ، ويحبه أشد الحب ، ويحرص عليه حرصا شديداً . شيئا يجد فيه راحة نفسه ، وقرة عينه ، ولذة أنسه ...

ولست أدرى أى شىء يستطيع ملء فؤاده صلى الله عليه وسلم غير لقاء الله ؟

أى شىء يستطيع ملء هذا الفؤاد الذى هو أوسع من السماء والأرض غير حب الله ؟ ؟

وكان اللقاء اليومى ... كل ليلة .. كل سحر ... عندما ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا .. وانبعث صلى الله عليه وسلم فى صفاء الليل يناجى ربه . . . يناجى حبيبه . . . فماذا قال ؟

« اللهم لك الحمد » . . إحساس

عميق بنعمة الله ، وشعور دافق بالرغبة فى شكر الله.. فتحرك لسانه صلى الله عليه وسلم ، أول ما تحرك بتسجيل ذلك الإحساس . . . اللهم لك الحمد . . . أشكرك يارباه أن آتيتنى تلك النعمة الكبرى .. نعمة النبوة العظمى .

ثم ماذا قال بعـــد ذلك صلى الله عليه وسلم ؟

« أنت نور السماوات والأرض » أنت ؟ ... تأمل ما فى تلك المناجاة من فطرة وبساطة ؟ . أنت ؟ ... أنت وحدك منور السماوات والأرض ...

لولاك ما استنار شىء ، ولاظلم كل شىء .

« ولك الحمد » ... مرة أخرى أحمدك .. إننى لو مكثت الليالى ذوات العدد أحمدك ، لم أوفك حقك من الحمد يارب ، إن أحدا لا يستطيع حمدك .

« أنت قيام السماوات والأرض » أنت ... أنت . . مدبر كل شىء فى السماوات والأرض ... بك يقوم كل شىء ، بك حياة كل شىء . .

« ولك الحمد » ... مرة ثالثة ... أحمدك ... إن نعمك تغمر الخلائق جميعاً ...

« أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن » أنت سيد السماوات والأرض ، وسيد من فيهن ، أنت الرب الحق ولا أحد سواك .

وعند ذلك ... كان قلبه صلى الله عليه وسلم يكاد يطير من الفرح ... وكانت روحه صلى الله عليه وسلم ، تسبح فى نور الحقيقة ... وتكشف لها أسرار الخليقة ... فيزداد صلى الله عليه وسلم أنسا ، ويزداد صلى الله عليه وسلم من حبيبه قربا ... فيعلم علم اليقين أن ؟؟ . .

« أنت الحق » ... اى والله يارب أنت الحق وحدك ... أنت المتحقق وجوده حقا وصدقا ..

فهل هناك حقائق أخرى بعد تلك الحقيقة الكبرى ؟ .

نعم ... هناك فروع لذلك الأصل وكل مايصدر عن الحق حق ...

« ووعدك الحق » ... نعم ربى .. ما وعدت عبادك سوف يتحقق كله .. سوف يقع كله ، ولكن الناس لايعلمون .

« وقولك الحق ... إى والله ... إن من نفس إلا وهى سوف تلقى ربها ذلك حق ... سوف ألتقى بك يارب .

« والجنة حق » .. وسوف يتحقق للمؤمنين بك ماوعدتهم ، فيروا بأعينهم أن الجنة كائن حق . « والنار حق » .. وسوف يتحقق للكافرين ما أوعدتهم

سوف يعاينون جهنم ... وسوف يدخلونها ... وسوف يعلمون أن النار لامرية فيها ولامراء . «والساعة حق» إى وربى ... إن الساعة بأهوالها ... يوم تمور السماء مورا ... يوم ينفخ فى الصور ... يوم يقوم الناس لرب العالمين ... يوم يعرضون عليك صفا صفا ، يوم يموج بعضهم يومئذ فى بعض ... يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ... كل ذلك ربى حق ... سوف يقع وسوف يكون ...

وهنا ... ازدادت روحه صلى الله عليه وسلم نورا على نور ، وسبحت فى آفاق أعلى وأعلى ... وازداد من ربه قربا ثم قربا ... هنالك تجلت له الحقائق تموج فى بعضها موجا ... وانكشف له حجاب بعد حجاب ، فإذا به صلى الله عليه وسلم يقول ...

« اللهم لك أسلمت » ... أى والله استسلمت لك طوعا .. لأننى لاأستطيع إلا أن أستسلم ... لا أستطيع بعد أن أريتنى ما أريتنى . « وبك آمنت » صدقت بك .. وكيف لا أصدق بخالقى وخالق كل شىء ؟ لا أستطيع .. لا أستطيع إلا أن أصدق بك ... إننى أعاين جهاراً لأسرارا عظمتك وجبروتك ورحمتك ...

« وعليك توكلت » ... كيف أتوكل على شىء سواك ... كيف لا أتوكل على الحى القيوم الذى لا يموت؟

« وإليك أنبت » ... أفوض إليك كل أمورى .. لأنك خير من أفوض إليه أمورى ...

« وبك خاصمت » ... هل كان يستطيع محمد صلى الله عليه وسلم أن يخاصم الناس جميعا وحده ، لولا أن الله معه ؟ . كلا ... ولكن بما أعطاه من حجة وقوة ، استطاع أن يخاصم الناس فى الله ، وأن يقيم عليهم جميعا الحجة ...

وأعلن النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لربه ... اعترافا بفضله عليه ... وتسجيلا لنعمته إليه .

« وإليك حاكمت » لا أرضى إلا بحكمك ... ولا أعتمد غيره ... لأنك خير الحاكمين ...

فماذا كان سؤاله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ؟ .

هل طلب الدنيا هل طلب الملك ، هل طلب الرياسة ، هل طلب شيئا يفنى ؟ ؟ .

أنظر ماذا طلب من ربه ...

« فاغفرلى ما قدمت وأخرت » .

محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا ذنب له يطلب المغفرة !!! .

أكان هـذا عن تواضع أم عن حقيقة ؟ .

هو عن تواضع إن شئت ، وعن حقيقة إن شئت .

أما أنه عن تواضع ، فذلك ما ينتظر من عبد الله فى مقام كهذا .

وأما أنه عن حقيقة فذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم ، يعلم أنه لم يذنب حقا ... ولكنه يعلم إلى جانب ذلك أنه مهما جاهد فى الله ، فهو لم يوف الله حقه ... فكان منه طلب المغفرة ... اللهم اغفرلى التقصير — ولا تقصير — ، اغفرلى عدم القيام بحقك ... إنها النبوة فى حالة إحساس بفضل الله عليها ، ولقد كان فضل الله عليه عظيما .

« وأسررت وأعلنت » ... أنت تعلم سرى وعلانيتى ... فاغفرلى ما كان من باطنى أو من ظاهرى ...

فماذا كان ختام ذلك التطواف ؟

« أنت إلهى ... لا إله إلا أنت » أعلنها صادقة خالصة ... بينى وبينك .

* * *

وكذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم ليلا ... لم يكن نواما ولكن كان قواما ...

وكان قيامه لقاء مع حبيبه الأعلى يناجيه ويناغيه . وربه تبارك وتعالى يتفضل عليه بما شاء من الرحمات والتجليات والايحاءات .

وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بالليل — وكل دعائه خير — أسمى وأعلى ما عرفت البشرية من المناجاة الربانية ...

تتموج أدعياته صلى الله عليه وسلم صاعدة إلى ربها ، أنور من النور ، وأسمى من السمو ...

ليس فيها الا الثناء على الله ... والاعتراف بفضل الله ... والإقرار بالعبودية لله ...

كل أولئك ... يفوح كالعطر الأقدس ، من صدره الشريف ، وهو يئز أزيز المرجل ، من البكاء من خشية الله .

وإن أجمل وأجل دعاء ، لهو دعاء المحب الباكى ..؟

ابن الفـــارض ...
والفلســـفة ...
وابن ســـينا ...

للأستاذ ادوار الجواهرجى

ذكرت فى العدد السابق لهذه المجلة أن ابن الفارض قد أحرز ذكر « ابكار المعارف » فى ديوانه لاعتبارها أقوى إثبات للروحانية ، غير أنه قد أحرز أيضاً ذكر « وجود الشر » وهو أقوى تعليل للزندقة ، وعالج بشعره الساحر هذه المسألة الفلسفية الخطيرة مستعينا بفلسفة ابن سينا .

يعلل الزنادقة أن وجود الشر ينفى وجود الله وقدرته .

ويرد ابن الفارض على هذا التعليل بقوله .

ترى صورة الأشياء تُجْلى عليك من ... وراء حجاب اللَّبس فى كلِّ خلْعة
تجمّعت الأضداد فيها لحكمة ... فأشكالها تبدو على كلِّ هيئة

ومتى قال « تجمعت الأضداد فيها لحكمة » فقد التقى بفلسفة ابن سينا عن « الخير والشر » و « القضاء والقدر » و « العناية الإلهية » .

أما عن « وجود الشر » يقول ابن سينا :

« ينقسم الموجود إلى واجب وممكن . أما واجب الوجود فهو الله وحده . أما العالم ومنه الإنسان ، فما هو إلا ممكن الوجود .

فطبيعة الواجب انه كمال مطلق وخير محض لا نقص فيه ولا شر . وحيث كان العالم ممكنا فهو بعيد عن الكمال المطلق ، وإذن فيه نقص وفيه شر . وهذا هو تعليل دخول الشر والنقص فى العالم أى من جهة طبيعته وهى الإمكان .

والشرور الحاصلة فى بعض الموجودات لا تخلو من حكمة ، إذ بها قوام العالم ، ولولا تلك الحكمة ما وجد الشر . مثال ذلك : نزول المطر ، فانه ينبت الزرع ، ويكون مصدر الحياة للنبات والحيوان ، ولكن قد يقع من السيول المتدفقة

أضرار ، غير أن هذه الأضرار يسيرة إلى جانب الخير الكثير ، ولو امتنع نزول المطر لأصاب الأرض جدب وامتنعت الحياة . لذلك لا بد من احتمال الشر اليسير من أجل الخير الكثير » .

وعن هذه الحكمة الخفية السرية قد جاء أيضا فى ديوان ابن الفارض (الحقيقة أى الله الحق يتكلم هنا) :

وعن أنا إيَّاى لبـــاطن حكمة ... وظاهر احكام أقيمت لدعوتى
وفى كل معنى لم تبنه مظاهرى ... تصوَّرتُ لا فى صورة هيكلية
وفيما تراه الروح كَشْف فَراسة ... خَفيتُ عن المَعنى المُعنى بدقَّة
وفى رحموت البسط كلى رغبة ... بها انبسطتْ آمال أهل بسيطتى
وفى رهبوت القبض كلى هيبة ... ففيما أَجَلْتُ العين منى أَجلَّت

وما أن انتهى ابن الفارض من تفسير وجود الشر القليل ، سرعان ما غادره وتركه موجها أنظاره نحو ما يترجح عنه وهو وجود الخير الأكثر . وهنا يرتفع بنا الى مشاهدة المحاسن والبدائع فى الموجودات فيقول : (الحقيقة أى الله الحق يتكلم هنا) :

تَنزَّهتُ فى آثار صُنْعى منزِّها ... عن الشرك بالأغيار جَمْعى وألفتى
ولستُ ملوماً أن أبثَّ مواهبى ... وأمنح أتباعى جزيلَ عطيَّتى

وهنا يتفق ابن الفارض مع تعقيب فلسفة ابن سينا ، وهو :

« أنَّ عالمنا هذا هو أفضل العوالم الممكنة ، لأنه لو كان أفضل من ذلك وأكمل لكان هو الخالق ، وليس فى الوجود مطلق إلا واجب الوجود ، وهو الله » .

فيختتم بحث مسألة « وجود الشر » فى ديوانه بالبيت الآتى :

فلا عَبثٌ والخلقُ لم يخلقوا سدًى ... وإنْ لم تكُنْ أفعالهم بالسَّديدَة

أما نصيب ابن الفارض ، باعتباره فيلسوفاً شاعراً ، فى معالجة هذه المشكلة الفلسفية الخطيرة فيرجع إلى قوة الشعر فى التعبير وتأثيره فى النفوس ، وهذا ما لم يأت به الفيلسوف الناثر ابن سينا .

الصوفية والرباط فى سبيل الله

أصدرت المكتبة التاريخية كتابا عن الإسلام فى أسبانيا، للدكتور لطفى عبد البديع

وقد عقد الدكتور فصلا فى هذا الكتاب عن الفرق الصوفية العسكرية التى احتلت مكانة كبرى فى تاريخ أسبانيا فيما بين القرنين الثانى عشر والرابع عشر باعتبارها قوة عسكرية وسياسية فى آن واحد . وقد تولت هذه الفرق الدفاع عن الأندلس وحمايتها .

وكان مولد هذه الفرق كما يقول الدكتور فى احضان تدين روحى وحربى . وكان قوامها المسلم الذى التقت فى كيانه عناصر المتصوف مع عناصر المحارب .

ثم يقول الدكتور لطفى : ولم يكن من قبيل الصدفة أن تولد هذه الفرق فى بلاد تعد تخوما وحدودا للإسلام كفلسطين وأسبانيا ، ففى فلسطين نشأت الفرق التى كانت تتولى حماية الحجاج إلى القدس أو التى ترعى الضعفاء والمرضى ممن يصلون إليها

وهذا النظام عرفه المسلمون منذ قرون عدة ، فكثير من المتصوفة كان جل همهم من سياحاتهم فى أقطار العالم الإسلامى ، خدمة الفقراء ، ورعاية المرضى والمحتاجين والسهر عليهم ، وكانت أعمال البر من القربات الصالحة التى يبتغون بها الثواب والأجر من الله .

وكذلك أيضا طوائف المرابطين فى الثغور الإسلامية فقد جمعوا إلى التصوف والعبادة نزعة الجهاد فى سبيل الله ، والرباط فى مواضع الخطر من الإسلام ،

وكان لأهل هذه الثغور منزلة بين عامة المسلمين يكرمونهم لمكانهم من الثغر وما يلقون فيه من مدافعة أعداء الإسلام . ولقد كان المسلم يقصد إلى ثغر من الثغور الإسلامية يقيم فيه ويرابط ويتهيأ للغزو فى كل ساعة ، يلتمس بذلك الأجر والثواب امتثالا لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »

وكان من السنن الإسلامية الحميدة أن يخرج الزهاد والعباد فى طليعة الجيوش الإسلامية يتقربون إلى الله بذلك . ومنهم من كان يدعو الله وهو فى الكعبة أن يرزقه الشهادة ليفوز بنعيم الآخرة .

وهكذا هو التصوف: جهاد فى كل ميدان لإعلاء كلمات الله وإيجاد إنسانية أسمى

الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

الإسراء والمعراج والفقه الجديد

بقلم الأستاذ: حسنى طه شكيان

فى رحاب النور المحمدى نعيش ، وفى معراجه العلوى نرقى ، وفى قيادته العليا إلى نور الكمال وكمال النور نسمو ومن ذكرى إسرائه ومعراجه نستمد الدفعة فى تطورنا العلوى السعيد .

بين يدى هذه الذكرى العاطرة ، نقدم هذه الحلقة المشرقة بنور الله فى بحثنا الكريم ـ الحقيقة المحمدية ـ تحية إلى مقام حبيبنا وهادينا الأكرم الى الله العظيم .

الإسراء . . الانطلاق برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى بفلسطين ، حيث التقى بالأنبياء الكرام فى موقف تكريم ، واستقبال تعظيم .

والمعراج . . عروجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى السموات العلا . . إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ؛ إذ يغشى السدرة ما يغشى .. فما زاغ بصر عن الحقائق ، وما طغى . . .

لقد رأى من آيات ربه الكبرى

وفى القضيتين أحاديث مستفيضة عن الزمان والمكان والكيفية ، وهى مبسوطة فى كتب التفسير والحديث وغيرهما . . .

وللعلماء الكرام آراؤهم وأدلتهم من فهم كريم فى آية أو حديث ، واستشهاد بفهوم الصحابة وآرائهم

وهدفنا اليوم أن نسوق بين يدى العقول ـ كل العقول ـ لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً فقها جديداً ـ بتوفيق الله تعالى ـ بصيراً واعيا شاملا ـ بنور الله العظيم ـ ويشمل : عرض آراء العلم الحديث ، والعلم الروحى ـ فى نظر البعض ـ ورأى الصوفية الكرام ، ثم إلهام الحكمة فى فهم آيات الله العظيم فى الوجود وفى القرآن العظيم .

مع العلم الحديث :

يصور العلم المسألة على الصورة المادية المنطقية التالية :

المسافة بين البيت الحرام بمكة ، وبيت المقدس بفلسطين تقرب من ١٥٠٠ كم ومثلها للعودة يقطعها الراجل فى ٣ شهور والأبل فى نحو شهرين والسيارات فى أسبوع أو أسبوعين والطائرات فى ساعات . . ولم يكن فى زمن الرسول سوى الجمل .. فلا بد من معجزة .. والله العظيم يدعونا أن نفقه من أسرار الوجود ما نستطيع فى أرض وسموات ، فى مادة وحياة : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض . . أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق إلا من شىء . . » أما عباد الرحمن الكرام فأولئك الذين جاء فى وصفهم : « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

واستجابة لأمر الله العظيم نستهدى حكمته العالية فى فهم آية من آيات ربنا الكبرى عن بصيرة ويقين . .

إن معجزة الإسراء فى هذا المدى برسول الله الكريم جسداً وروحاً أمر يقبله العلم الحديث ، حيث يسلم بجواز قطع هذه المسافة بهذه السرعة دون خطر على الجسد الحى وطائراته اليوم وصواريخه تقطع بالإنسان ما هو أبعد من ذلك ..

فإن قيل : إن رسول الله ركب البراق فانطلق به ؛ اكتفى العلم الحديث بهذا فقوانينه تسمح بهذا الانطلاق ، وإن كان لا يعرف البراق ..

ومن هنا لا يجد أهل الظاهر من المعتزلة وغيرهم مساغاً للقول بأن الإسراء كان مناماً متعللين بأن الجسد الحى لا يطيق هذه السرعة فى الانتقال فضلا عما فى المنام من بعد عن ظاهرة الإعجاز حيث يتم نظائره لكثير من الناس فضلا عن الأنبياء وكريم الأنبياء ، ثم ما كان ليحدث من جرائه فتور من بعض الصحابة ، وشماتة من الكافرين وما كانوا ليسألوه عن عيرهم ومقدمها ، فيحدثهم عن شربه من مائهم ونفار جمل لهم ..

أما المعراج فهو قضية العقل والبصيرة حقا ، فلنستفت فيها العلم .

إن المعراج صعود إلى السماء الأولى حتى السابعة حتى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، فماذا يقول العلم فى البعد بين الأرض والسماء الأولى ؟!.

علم الفلك والطبيعة لا يعرف عن السماء أكثر مما فى كتب اللغة .. السماء

سمو وارتفاع وكل ما علاك فهو سماء ، ومن ثم فليس فى مقاييسه إدراك حقيقة عليا محيطة بالوجود المادى منفصلة عنه اسمها سماء . .

سعة الكون المادى :

بيد أنه يقول : إن سعة الكون المادى من نجوم ومجموعات شمسية ومجرات وسدم تبلغ فى حد علمنا ومراصدنا وعدسات مصوراتنا تبلغ ١٠٠٠ مليون سنة ضوئية ؛ فقد سجل مرصد جبل بالومار بكاليفورنيا مجرات تبعد عنا بمقدار بليون سنة ضوئية ، ومعناه أن الضوء الذى ينطلق بسرعة ٣٠٠٠٠ ألف كم فى الثانية الواحدة يصل إلينا بعد ألف مليون سنة فى فضاء شاسع لا ندرى له - حتى اليوم نهاية - .

ومع ذلك فالعلم يسلم بكون فسيح أرحب من هذا بكثير . . فمعادلة رياضية عند أنيشتين تحسب لا تساع كرة الكون المادى ما يقرب من ٣٥ بليون سنة ضوئية لنصف قطرها ، أى أننا نعيش فى كون مادى ينفسح إلى ٧٠ ألف مليون سنة ضوئية . . وقد يكون أفسح من ذلك . .

وثمة نظرية أخرى تقول : إننا لن نرى من هذا الكون المادى أكثر من ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية أى بليونى سنة من ٣٥ بليونا لنصف القطر كما تقول المعادلة الرياضية . . أما سبب ذلك : فهو ما سجلته المراصد من تباعد الأجرام والمجرات عنا بسرعات جبارة حتى تصل إلى سرعة تعادل سرعة الضوء على مدى ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية ، حيث تتعادل السرعتان . . سرعة تباعد المجرات وسرعة مقدم الضوء إلينا فتتلاشى رؤيتها وتسجيلها على هذا المدى فتصبح نهاية معرفتنا عن كرة الكون المادى لملايين الملايين من الشموش والنجوم والمجرات والكواكب والأقمار — عند ٢ بليون سنة ، ويظل ما بعدها مجهولا لنا تماما . . والعلم فى حيرة من تعليل نظرية تباعد هذه النجوم بهذه السرعات الجبارة والمطردة .

ومن ثم فالعلم المادى لا يعرف — بمقاييسه الحالية — سوى جزء يسير من الكون المادى ولا يدرى شيئاً عن كون مستقل اسمه السماء ، ذلك الشىء الذى إن كان فهو من فوق هذه المجرات والنجوم متساميا بطبيعته عن المادة ومجالاتها وأفلاكها .

ونرى أن نستفتى فى صنعة الوجود كتاب الوجود إتماماً لصورة الوجود

فأين وضع السموات كما يقول القرآن العظيم ؟ .

الكون المادى فى القرآن :

يحدثنا القرآن عن الكون المادى بنجومه ومجراته التى لا تحد مما نراه ومما يخفى عنا سواء أرأينا بليون سنة ضوئية أو رأينا غداً ، بليون سنة ضوئية أو نراه بمعادلاتنا الرياضية ٧٠ بليون سنة لكرة الكون المادى . يقول القرآن : إن كل هذه الأجرام إنما هى ثريات لزينة السماء الأولى التى تحيط بالكون المادى كله ثم من بعدها ست سموات طباقا فى هذا الجلال والجمال بل أروع ، تسكنها الملائكة خلق النور ، يسبحون بحمد الله آناء الوجود لا يفترون ، يمضون فى الكون المادى كله بأمر الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ... والآيات فى ذلك كثيرة ولنقرأ منها :

« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ... الذى خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ... ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح »

« والصافات صفا ... إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ... »

« ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » فصلت

فالسماء الدنيا إذا زينتها القدرة الربانية بمصابيح الشموس وكواكب الأراضى والأقمار ... ثم يحيط بها ست سموات ما بين كل سماء وسماء كما بين الأرض والكون المادى والسماء الدنيا ... « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » .

« له مافى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم ، تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم » الشورى

وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « أطت السماء وحق لها أن تئط ، مافيها موضع قدم إلا وفيه ملك راكع لله أو ساجد » . أما الملائكة فهم خلق النور كما يقول الحديث الآخر ...

ومعنى هذا أنه بيننا وبين السماء الدنيا — نحو — سكان الكون المادى — بلايين السنين بسرعة الضوء فما بالنا بالسموات السبع فسدرة المنتهى عندها جنة المأوى ... ومن ثم فليس فى مقاييس العلم المادى ولا قوانينه

ما يفسر معجزة المعراج . بالجسد الشريف .

مع الصوفية الكرام :

وهنا يتدخل الصوفية الكرام ليقدموا حلا ملخصه . . أن الجسد الشريف قد تحول إلى نور حتى يتكيف مع طبيعة السمو إلى ما فوق السموات

والعلم الحديث يسلم بأن الجسد الشريف من النور ؛ بل إنه يقول إن كل الكون المادى من النور ذلك أن الأرض كانت قطعة من الشمس أو نجما آخر ، والأرض والشمس تشمل نيفاً وتسعين عنصراً غازياً وسائلا وجامداً وكل العناصر مكونة من ذرات لا ترى بأكبر المجاهر ، وكل ذرة عبارة عن مجموعة شمسية كمجموعتنا الشمسية مكونة من شحنة كهربية موجبة فى المركز تدور من حولها الكترونات — شحنات سالبة — .

ومعنى ذلك أن طبيعة كل مادة من الكهربا أى النور . . ويزيد على ذلك ما يأتى :

إن تحويل ظلال المادة إلى إشعاع ونور ينطلق بسرعة الضوء أمر مسلم به ، فظاهرة التليفزيون والرادار ونقل الصور بالراديو إلى الجرائد والمجلات — إنما يتم بتحويل ذرات الصور المادية فى الفوتوغرافيا (الكوداك الالكترونى) إلى ذبذبات كهربية تنطلق عبر الأثير ثم تجمع فى جهاز الاستقبال (على شاشة التليفزيون أو الردار .)

ومن ثم فهم يتطلعون مستقبلا إلى نقل صور كاملة بل قطعاً مجسمة بل مناضد وأرائك عبر الأثير بعد تحويلها إلى ذبذبات كهربية أى إلى ذراتها الأولى النورانية . . وتشاهد أوربا اليوم فى السينما العلمية شرائط لهذه النظرية — وشوهدت كذلك عندنا . .

ومن قبل شاهدت النبوة الكريمة وأمة سليمان عرش بلقيس يطير من اليمن إلى فلسطين بنفس هذه القوانين — بسرعة الضوء بعد تحويله إلى ذراته الأولية — فسجد سليمان شاكراً لله أنعمه وفضله ، وقص القرآن ذلك بعدها بعشرات القرون ومضى على المسلمين أربعة عشر قرناً فما دروا — يقينا — هذه القوانين — وما حاولوا أن ينظروا فى ملكوت السموات والأرض بالعلم والمعرفة فسبقهم إليها غيرهم ، ولكنها اليوم تعود إليهم بنور توفيق الله العظيم .

بيد أن العلم إن سلم بنقل المادة

المجسدة بعد تحويرها إلى ذبذبات كهربية فهو يرفض ذلك التفسير بالنسبة للجسد الحي الذى لا بد أن تفارقه الحياة عند هذا الحد فضلا عن أنه لو قد تم ذلك لاحتاج الانتقال فى الكون المادى فقط بسرعة الضوء ٧٠ بليون سنة .. فضلا عن السموات العلى والعودة منها .

فرأى الصوفية الكرام وإن كان مسلماً من تحوير الجسد الشريف إلى نور فهو غير مسلم لنهايته .. فلنتركهم إلى حين ..

مع علم النفس :

يرى علم النفس أن المعراج رؤيا — مع الحس ومن فوق الحس — فى ساعة من الصفاء النفسى الرفيع حلقت فيها القوى الإدراكية والخيالية والتصورية الجمالية إلى آفاق عالية فى لحظات من اليقظة الواعية فمرت بهذه المشاهد الرائعة التى كونت قصة المعراج والإسراء ..

ولاشك أن الرسول الكريم — نفس تسامت حتى أصبحت الأرض والسموات بالنسبة لها دوائر صغيرة، لاتملأ كيان نفسه ، فتعالى عن كل ذلك فتهيأ لهذه الرؤيا فى آفاق من النور العالية..مناماً أو بين المنام واليقظة —

وأهل التفسير الظاهرى قد يسرهم هذا الرأى يهشون له ويغتمون به السلامة من أعباء التحليق فى سموات الفكر والبصيرة ..

ويقرب منه تصور المعتزلة وعليه بعض الصحابه ...

وبمثله يقول الأستاذ محمد حسين هيكل فى كتابه — حياة محمد — حيث يرى أن لحظة من لحظات الصفاء النفسى أحاطت نفس محمد العظيم بالوجود كله أرضه وسماواته ومافوق سماواته ، وبالزمن كله سابقه ولاحقه، حتى شاهد الأنبياء قد تجمعوا من حوله يصلى بهم ويصعد إليهم فى سماواتهم، ويشاهد مستقبل الأحداث كما يصوره له القرآن العظيم .. « يتبع »

الإسلام والعمل

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا قامت الساعة ، وبيد أحدكم « فسيلة » — النخلة الصغيرة — فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر »

صدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رقية للخضر

فى علاج الألم

قال تاج العارفين أبو الحسن أحمد ابن أبى الحوارى رضى الله عنه ، علمنى الخضر عليه السلام رقية للوجع فقال : إذا أصابك وجع فضع يدك على الموضع وقل : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل »

فلم أزل أقولها على الوجع فيذهب لساعته ،

العدل مفتاح السعادة

(٥)

عبر المنصف محمود عبد الفتاح

واعظ مركز شبين القناطر

. . فالقاضى لا ينجو إلا إذا كان بالنسبة إلى الخصوم (أى المتقاضين) كالميزان المنضبط فلا يميل مثقال ذرة إلى واحد منهم إلا بالحق ، فلا يحمله حب قوم على الميل معهم ، ولا يجره بغض قوم على الجور بهم قال الله تعالى « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا (أى لا يحملنكم بغضكم وكراهيتكم لقوم على عدم مراعاة العدالة فلا تشهدوا فى حقوقهم بالعدل) إعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » .

شكا يهودى على بن أبى طالب كرم الله وجهه إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فى خلافته . فلما مثلا بين يديه نظر إلى على وقال : اجلس يا أبا الحسن : على عادته فى الخطاب معه ، فظهرت آثار الغضب على وجه على !! فقال له عمر : أكرهت أن يكون خصمك من اليهود وأن تمثل وإياه أمام القضاء ؟ فقال : لا ، ولكنى غضبت لأنك كنيتنى والتنكية تعظيم فخشيت أن يقول اليهودى : ضاع العدل بين المسلمين !! وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم لأبى مريم السلولى . . وكان هو الذى قتل أخاه زيد بن الخطاب : والله أنى لا أحبك حتى تحب الأرض الدم ! ! قال أبو مريم أفيمنعنى ذلك حقا ؟ قال عمر : لا فأجاب أبو مريم : إنما يأسى على الحب النساء .. فالدين يحتم على القاضى أن يساوى بين المتخاصمين فى كل شىء حتى فى الجلوس بين يديه ، دون تفرقة بين رئيس ومرءوس ، أو غنى وفقير أو شريف ووضيع . عن ابن الزبير قال : « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الخصمين يقعدان بين يدى

الحاكم ، أخرجه ابو داود . وروى أن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن قيس الأشعرى (أحد قضاة الأمة) « آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك .. البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا » وقال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : « إذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتى خصمه فلعله فقئت عيناه جميعا »

قضاء النبى عليه الصلاة والسلام :

وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لصيانة الحقوق ، والتسوية بين الخصوم وإقامة عدالة السماء بينهم كيف لا وحكمه حكم الله الذى أنزل فى القرآن العظيم قال تعالى : «وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟» إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، ويكفى شاهدا على ماروى فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه وزيد بن خالد الجهنى . ، أن رجلا من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنشدك بالله إلا قضيت لى بكتاب الله تعالى . . فقال الآخر وهو أفقه منه : نعم فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لى، فقال : قل، قال : إن ابنى كان عسيفا (أجيرا) على هذا (أى عنده كما فى رواية . وفى أخرى : فى أهل هذا) فزنى بأمرأته ، وإنى أخبرت أن على ابنى الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم فأخبرونى أن ما على ابنى جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: الوليدة (أى الجارية) والغنم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا أنيس (أنيس تصغير أنس ، وهو أنيس بن الضحاك الأسلمى) إلى امرأة هذا فإن اعترفت

فارجمها . . قال : فغدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت ، رواه البخارى ومسلم . وإنما حكم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه على الزانى وهو الأجير بجلد مائة وتغريب عام ، ولم يحكم عليه بالرجم ؛ لعلمه بأنه غير محصن ، وكان قد اعترف بالزنى . ولعل الحكمة فى تغريبه سنة بعد إقامة الحد عليه : هى الخوف عليه من أن يذهب حياؤه فى البيئة التى اقترف فيها الخطيئة . وروى أن فتاة بدوية كانت ترعى غنمها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فربها رجل فاتك ولاحظ شبابها وجمالها ، فسألها أين أهلك ؟ فقالت : إنهم على سفر . فأغرته عزلتها وجمالها ، فهم بالعدوان عليها ، فلما رأت ذلك أدركت أنه لا ينجيها منه إلا التغلب عليه ، وكانت قوية قوة نادرة ، فقبضت عليه بيديها وقذفت به الأرض ، فاستغاث وعاهدها إن خلت عنه أن يتركها ويمضى لشأنه فأفرجت عنه الفتاة ، ولكنه عاود فعلته ، فأعادت تأديبه والإفراج عنه مرتين ، وفى الثالثة تناولت حجرا وشجت به رأسه ، وتركته بين الحياة والموت ، ثم انصرفت إلى بيتها ، ولم تذكر شيئا مما حدث لأهلها . . . ومر بعض أهل الحى بالجانى وهو يحتضر ، فسألوه من فعل هذا بك ؟ فدلهم على الفتاة ثم مات . وطالب أهل القتيل والد الفتاة بالدية فأبى واحتكم الفريقان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما سمع القصة أثنى على الفتاة وأهدر دم القتيل . وكان عليه الصلاة والسلام لا يحابى ولا يجامل فى إقامة الحد ولا يقبل فيه شفاعة الشافعين ، فمن ذلك ما روى أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله صلى الله وسلم ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله صلوات الله عليه وسلامه عليه ؟ فكلم (أى أسامة) رسول الله صلى الله عليه وسلم (فى هذا الأمر فقال : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام : فخطب فقال : « يا أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وفى روايه : « وأيم الله لو أن فاطمة

بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ، وفى رواية لمسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كانت أمرأة تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع يدها » ... وكثيرا ما كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يسدى نصحه إلى المتخاصمين قبل أن يقضى بينهم ، ويحثهم على تحرى الصدق ، وبين لهم سوء مغبة الكذب فعن أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم : أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج اليهم فقال « إنما أنا بشر وإنه يأتينى الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض (وفى رواية : ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض أى أفطن من بعض) فأحسب أنه صدق فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هى قطعه من النار فليأخذها أو ليتركها » رواه البخارى.

قضاء أبو بكر رضى الله عنه :

وقد وصف أحد التابعين وهو ميمون بن مهران الحكم فى عهد الخليفه أبى بكر رضى الله عنه فقال : « كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله تعالى ، فإن وجد فيه ما يقضى به قضى به ، وإن لم يجد فى كتاب الله ، نظر فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن وجد ما يقضى به قضى به ، فإن أعياه ذلك سأل الناس : هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء ؟ فربما قام إليه القوم فيقولون : قضى فيه بكذا وكذا ، فإن لم يجد سنة سنها النبى صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به » .

ومما يدل على أن مراعاة العدالة فى كل شىء من الأهمية بمكان حتى فى الأشياء التى تبدو بسيطة يسيرة ، ما روى أن صبيين ارتفعا إلى الحسن ابن على رضى الله عنه فى خط كتباه وحكماه فى ذلك ، ليحكم أى الخطين أجود ؟ فنصر به على كرم الله وجهه فقال : يابنى انظر كيف تحكم ، فإن هذا حكم والله تعالى سائلك عنه يوم القيامه قال عز شأنه : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا .

من القصص الهادف :

سلامة الصدر . . .

هى طريق الجنة . . .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :

... كنا يوما جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال مشيرا بأصبعه: يطلع عليكم من هذا الفج ، رجل من أهل الجنة . فطلع رجل من الأنصار لافضل له يعرف ، ولا عمل له يذكر . فأخذنا العجب .

وفى الغد جلسنا مع الرسول مقعد الأمس ، فلما تشعب الحديث التفت الرسول عليه السلام وأشار بأصبعه وقال : يخرج من هذا المكان رجل من أهل الجنة ، فخرج علينا نفس الرجل ، وقال مثل ذلك فى اليوم الثالث ، فخرج ذلك الرجل نفسه .

قال عبد الله ، فلما قام النبى صلوات الله عليه واشتمل الليل أسرعت الخطى إلى دار ذلك الرجل . وقلت له حصل بينى وبين أبى نزاع . واعتزمت ألا أدخل عليه ثلاثا ، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تمضى الثلاث فعلت ، فقال : نعم .

قال عبد الله : فبت عنده ثلاث ليال فلم أره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ، ولم يقم حتى يقوم إلى صلاة الفجر ، غير أنى ما سمعته يقول إلا خيرا ، فلما مضت الثلاث ، قلت له : والله لم يكن بينى وبين أبى شىء ، غير أنى سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول كذا وكذا ، فأحببت أن أعرف عملك لأقتدى بك ، وخالطتك فلم أر شيئا ، فما الذى بلغ بك ذلك ، فقال : ما هو إلا ما ترى ! فإنى لا أصنع لربى عبادة إلا ما افترض .

قال عبد الله : فانصرفت يائسا وما كدت أن أفارقه ، حتى هتف بى مناديا ، فأسرعت إليه فأشار بأصبعه إلى قلبه وقال :

« والله ما وجدت فى قلبى هذا غلا ولا حسدا على خير أعطاه الله لأحد من الناس » .

قال عبد الله : فقلت له « هى التى بلغت بك ، وهى التى لا تطيق » .

العقاب ضرورة نفسية

للاستاذ محمود محمد عمارة

المدرس بمعهد منوف الدينى

نفوسنا تلك التى بين جنوبنا . . إنما هى نفوس مركبة معقدة .

وهى بمساربها ودروبها . . وبما تحتويه من رغبات وقوى تلتقى وتتشابك . . عصية على الخضوع للملاحظة والتجربة فى معامل الكيمياء.

بيد أن علماء النفس استطاعوا أن يسبروا أغوارها . . ويقفوا على بعض أسرارها . . وها نحن أولاء نصغى إليهم لنتلقى عنهم بعض هذه الأسرار .

إنها مركبة من :

(١) نفس همجية لا تفرق بين نافع وضار .

(٢) نفس واقعية . . وهى التى اتصلت بالواقع وخضعت لقوانينه فتهذبت . . وتقلمت أظفارها ،

(٣) الضمير : وهو الديدبان اليقظ الذى يقف حارسا بين النفس الأولى « السفلى » والثانية « العليا » .

فلا يسمح للنفس السفلى بتحقيق رغباتها على شكل بدائى . . ويحاول دائما أن يوفق بين مطالب الثانية ومطالب المجتمع .

والنفس الأولى تهز الثانية من أسفل . والضمير يهزها من أعلى ثم يهددها إذا استمعت للأولى .

وإذا تمكنت النفس السفلى من تحقيق رغباتها على صورة بدائية لا تليق . فى هذه اللحظة . يحدث نوع من التوتر فى حياة الإنسان . تضطرب له حياته . ويختل من أجله ميزانه .

والشعور بهذا القلق يوجه الإنسان إلى محاولة التخلص منه .

بماذا ؟

بطلب العقاب المناسب للجريمة .

ومتى وقع هـــذا العقاب على الإنسان زال القلق . وتقلصت ظلال الحيرة . حيث إن الضمير سيهدأ .

وبذلك تسترد النفس صفاءها ونقاءها فالعقاب إذن ضرورة نفسية نلح فى طلبها لتعود إلينا راحتنا المفقودة .

وليس هو بدعة استنها علماء النفس واخترعوها من ذات أنفسهم . وهذا هو السر الواضح الذى يفسر لنا موقف « ماعز » و « الغامديه » فقد اعترفا بذنبهما للرسول صلى الله عليه وسلم .

وعلى الرغم من رد الرسول لهما إلا أنهما ألحا فى طلب العقاب . وإذا كان لنا أن نفسر هذا الموقف من الوجهة الدينية فنرده إلى الخوف من الله والعزم على التوبة . إلا أنه صادر أيضا نتيجة هذا القلق النفسى الذى يجد فى العقاب راحة دنيوية تخلصهما من ألم الحيرة وعذاب القلق .

ويشير القرآن الكريم إلى هذه النفوس فيقول تعالى مشيراً إلى الضمير : « بل الإنسان على نفسه بصيرة . »

ويقول سبحانه مشيراً إلى النفس السفلى والعليا :

« ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

وبناء على ما تقدم . وإذا أردنا للجريمة أن تنكس رايتها السوداء ، فما علينا إلا أن نعاقب المجرم ليزول هذا القلق .

وجريمة العرض التى ارتكبها ماعز ، تذكرنا بجرائم العرض التى يرتكبها اليوم خلفاء « جيمس دين » !

وتدعونا فى الوقت نفسه إلى الضرب بيد من حديد على أيدى هؤلاء المارقين وردهم إلى صوابهم ،

ذلك لأن الجريمة الخلقية تستمد وجودها من غريزة ناشزة هى الغريزة الجنسية . والإسلام ينظر إليها نظرة خاصة تكافىء مبلغ خطرها وتأثيرها فى كيان الجماعة ، ولا ننسى ونحن ندعو إلى الزحف المقدس لنمحو أثر هـــذه الشهوة ، لا ننسى الصحافة الصفراء التى مهدت لظهور خلفاء لهذا الجيمس دين !!

إن الصحافة الملونة ، التى تحاربه اليوم هى نفسها التى خلقته بالأمس !

لقد كان فى أوربا جيمس واحد فأصبح لدينا — والفضل لها — ألف جيمس !! قرأنا على صفحاتها نبأ شاب حاول الانتحار من أجل عيون أحد المغنين ، ولم تعلق بكلمة واحدة تنطوى على الإزراء بمثل هذا الهراء!

ووجدناها تفتح عيون الشباب على الشاطىء وما فيه ، وليت الأمر

وقف عند هذا الحد ، بل إنها تهزأ برجل الدين إذا ما قام بواجبه أمام هذا العبث !

قرأنا أخبارها فوجدنا جلها إن لم يكن كلها يدور حول أهل الفن ولون معيشتهم الداخلية والخارجية .

فى حين أنك لو ذهبت لترفع شكوى من أجل مسجد تهدم ، لا تمكن من ذلك إلا إذا دفعت أجراً يوازى أجر إعلان عن نوع من الخمور جديد ! ! !

فلماذا إذن — والحال هذه — لا يظهر جيمس دين فى المصنع والمكتب والحقل ! ؟

لماذا لا يجرى التميع فى عروق الشباب مادامت تلك الصحف تقدم لهم الوجبات الشهية بدون مقابل ؟

ولقد أصبح موقف رجل الدين إزاء هذا التيار الجارف كما يقول أحد العلماء كرجل يقف على شاطىء البحر الأحمر يريد أن يغير طعمه بحوال من السكر ! !

فإذ أردتم أن يختفى جيمس دين فما على هذه الجرائد إلا أن تختفى من الوجود أولا .

وثانيا قفوا هذا التبرج عند حده فالفتنة نائمة لعن الله من أيقظها ، إننا نشاهد المرأة تسير فى الطريق فيصعب على العقل أن يصدق بأن وراءها رجلا له شرف وكرامة !

وعندما نقرأ قوله تعالى :

« ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » فترتسم فى خيالنا صورة قاتمة للمرأة فى الجاهلية ومبلغ خروجها على الذوق والآداب . وفى وجداننا إحساس بأن نساءنا مهما بلغن من التمرد فلن يلحقن بالجاهليات !

ولكن استمعوا إلى المفسرين وهم يبينون لنا مدى هذا التبرج :

قال قتادة : كانت لهن مشية فيها تكسر وتمايل .

وقال مجاهد : كانت المرأة تخرج وتمشى بين الرجال .

وقال ابن كثير : كانت تخرج كاشفة عن صدرها وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها .

هذه صورة عامة للتبرج فى الجاهلية وأين هو من تبرج نسائنا اليوم ؟!

إن المرأة اليوم لم تكتف بالمشى بين الرجال ، ولكنها تأكل معه ، وتنزل البحر معه ، ويستلقيان على الشاطىء الممتد تحت أشعة الشمس وهبات النسيم ؟ !

وفى الجاهلية كانت تكشف عن صدرها أما اليوم ، فقد أبرزت صدرها وساقها وشعرها ، بل لبست الشفاف ، كثوب الرياء يشف عما تحته

إننا فى حاجة إلى حملة تطهير واسعة النطاق .

فجميل أن نحتفل بأسبوع للنظافة، حتى تبدو الطرقات نظيفة تشرح الصدر وتسر النفس .

وأجمل منه أن تتوجه الحملة إلى داخل النفس إلى منعطفاتها الملتوية فتسلط عليها الأضواء ، وتمد الضمير بألوان من الثقافة والمعرفة حتى نخلق جيلا نظيف القلب فيعكس صفاءه على الحياة نفسها لأن فاقد الشيء لا يعطيه! نفعل هذا ، وبأيماننا درة عمر رضى الله عنه . وفى قلوبنا عزيمته التى لم يكن يأخذها فى الحق لومة لائم ، وبها عاشت مبادىء الإسلام حية فى النفوس .

وكان هناك شيء اسمه الكرامة الإنسانيه ! لا يكفى أبدا أن نشرح الفضيلة للشباب بطريقة ذهنية عقيمة.

ولا يكفى أبداً أن نبين لهم عواقب الرذيلة بصورة نظرية باهتة ، بدون تعرض لعقاب .

وهو نفس الاتجاه الذى ينادى به بعض علماء التربية فى وقتنا الحاضر بل لا بد من العقاب .

وقد أخذ الإسلام بهذا المبدأ ، فقرر العلماء ضرب الطفل وهو ابن عشر إذا ترك الصلاة .

وهذا هو الدكتور « بنجامين سباك » عالم النفس الأمريكى يقرر أن الضرب أمر ضرورى فى تربية الطفل ، وأنه بحث حالات كثيرة ، فوجد أن أقوم الشباب الرجال خلقا هم الذين كانوا يضربون فى صغرهم جزاء أخطائهم .

وأن أفسدهم خلقا وأضعفهم شخصية من سلم من الضرب صغيراً .

ومع هذا . وقبل هذا ، يجب أن تسلط الأضواء وتبذل الجهود لتطهير هذا الحارس اليقظ ، الضمير ! حتى يستطيع أن يؤدى رسالته النبيلة على خير وجه وأكمله ، يجب أن تساوق جهودنا لرفعته ، دوره الخطير الذى يقوم به فى بناء حياتنا .

ومتى تخلص الضمير من أوشاب الحياة ، ومتى تركزت فيه خصائص القاضى النزيه والحكم العدل .

أصبح فى حياتنا صراطا مستقيما ننقل عليه خطانا فى ثبات ، فلا تزل قدمنا فنقع فى بئر من رغباتنا الهابطة فلا نشعر بمن حولنا ، ولا نقع فى معمعان الواقع الصاخب فننسى نفوسنا بما لها من حقوق وما عليها من واجبات

وأين هو الضمير الذى يربيه الإسلام ليتخلص من شبح الجريمة ؟

لعل أجمل لوحة فى تاريخ الإسلام

تصور لنا هذا الضمير فى بهائه وصفائه تلك الحادثة :

استعمل عمر رضى الله عنه «النعمان ابن مقرن» على «كسكر» ليجمع الزكاة من أهلها ، وليس عليه رقيب ولا حسيب إلا ضميره وحده .

وفى استطاعته أن ينهب ويسلب ما شاء له السلب ، وطرق التخلص من المسئولية كثيرة !

ولكن النعمان العظيم يتحرك ضميره فيرى المال الكثير ، والمال الكثير طالما طرق باب القلب فى إصرار وغواية فيكتب إلى عمر قائلا :

«يا أمير المؤمنين : إن مثلى ومثل كسكر ، كمثل رجل شاب عنده مومس تتلون له وتتعطر ، وإنى أنشدك الله أن تعزلنى عن «كسكر» وبعثتنى فى جيش من جيوش المسلمين» !!

لك الله أيها النعمان العظيم ! !

إن قصف المدافع ، والدم المسفوك وأهوال المعارك ، أهون بكثير من خطيئة يرتكبها فتلوث صفحة الضمير البيضاء .

ولتذهب يا نعمان إلى ميدان القتال ولتقطع يدك ، بل ليبق عنقك دقا .

ولتهزم أيضا فتدوسك أقدام الخيل المنطلقة . كل هذا يهون وهزيمة الإنسان فى معركة الحرية فيجيا وهو ميت خير من هزيمة الضمير أمام المال فيموت وهو حى !!

وما أروع ما سطره الشاعر أحمد الزين يصف سلطان الضمير :

هو صوت السماء فى عالم الأر
ض وروح من اللطيف الخبير
وشعاع تذوب تحت سناه
خدع العيش من رياء وزور
هو سر يحار فى كنهه اللـ
ـب وتعيا به قوى التفكير
كل حى عليه منه رقيب
حل من قلبه مكان الشعور
حل حيث الاهواء تنزو إلى الإ
ثم وتهفو إلى مهاوى الشرور
جامحات أعيت الناس كبحا
رغم إنذارها بسوء المصير
ثم صاح الضمير فيها نذيرا
فأصاخت إلى صياح النذير
هو روح من الملائك يسمو
بسليل الثرى إلى عالم نور
قد تولت بالأنبياء عصور
وهو باق على توالى العصور
حافظا فى الزمان ما خلفوه
قائما فى الصدور بالتذكير
حاملا من شرائع الخير كتبا
قدست من صحائف وسطور
ليس يعفو عن الهنات وإن ها
نت ملـــح فى اللوم والتعزير

بقيـة المنشور على صفحة ٣٤

والعابدين ؛ لأن الأنس عند هذه الطائفة هى الغاية القصوى من زهدهم ؛ ثم أنسهم بالله تعالى متصور على خلوتهم ؛ لذلك تراهم دائبين على العزلة والفرار من الخلق . ولذلك قيل لبعض حكمائهم: إلى أى شىء أفضى بكم الزهد والخلوة؟ فقال: إلى الأنس بالله ويقول سفيان بن عيينه : لقيت ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى فى الشام فقلت له: يا إبراهيم لم تركت خراسان ؟ فقال : ما تهنأت بالعيش إلا هنا ، أفر بدينى من شاهق إلى شاهق فمن رآنى يقول موسوس أو حمال أو ملاح . وقيل لغزوان الرقاشى : هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك؟ فقال: إنما أصيب راحة قلبى فى مجالسة من عنده حاجتى . ويقول بعض الصالحين : رأيت عابداً خارجا من جبل بالشام فلما رآنى أنظر إليه تنحى عنى وتوارى خلف شجرة، فقلت له سبحان الله! أتبخل على بالنظر إليك ؟ فقال يا هذا إنى أقمت فى هذا الجبل دهرا طويلا أعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا وأهلها ، فطال فى ذلك تعبى وفنى منه عمرى ، فسألت الله تعالى ألا يجعل حظى من أيامى فى مجاهدة قلبى، فسكنه الله تعالى عن الاضطراب وألفه الوحدة والانفراد، فلما نظرت إليك خفت أن أقع فى الأمر الأول فاليك عنى فانى أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ، ثم صاح واغماه من طول المكث فى الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نفض يديه قائلا: إليك عنى يادنيا لغيرى فتزينى وأهلك فغرى، وما ذلك فى الحقيقة إلا لضيق علم هذه الطائفة بالله ، ولو شاهدوه فى كل شىء لأنسوا به فى كل شىء ولما وقعت لهم الوحشة فى شىء ، كما كان صلى الله عليه وسلم والكمل من صحابته كانوا مع الخلق بأبدانهم ومع الله بقلوبهم مجتمعين فى خلوة وغرباء فى حضر، وحاضرين فى سفر، وشاهدين فى غيبة ، وغائبين فى حضور لا يشغلهم شأن عن شأن .

وقد أفصح لنا صلى الله عليه وسلم عن ذلك مخبراً لنا عن حاله حينما ظنت الصحابة أنه خليل أبى بكر ؛ لدوام مصاحبته فقال صلوات الله عليه « لو كنت متخذاً من الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله » فهو مع دوام معاشرته لأبى بكر الذى هو خير صاحب له لم يركن إليه ، ولم يشغله حب أبى بكر عن ربه ، وفى ذلك جمع بين الأمرين وإعطاء لكل مرتبة حقها . ولقد سار

على هذا المنهج القويم الكمل من القوم الذين سلكوا إلى الله تعالى ، حتى قال سيد الطائفة أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه معبراً لنا عن حاله : أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة ، والناس يظنون أنى أكلمهم . ولا يتم ذلك فى الحقيقة إلا لمن اتسع علمه فأنس بربه فى كل شىء ، ولا يكون ذلك إلا بسلوك ما سلكه العارفون والمحققون من مشاهدة الجمال الإلهى فى كل شىء .

نعم لقد علم العارفون والمحققون من أهل الله تبارك وتعالى أن المظاهر الخلقية حجاب عن الذات العلية ، وإن هذه المظاهر لا قوام لها من حيث ذاتها ، ولا جمال فيها من حيث هى ، بل قوامها بقيوم السموات والأرض وما فيها من جمال وجلال وكمال ، إنما هى مراتب تنزلات جمال الحق ، وجلاله وكماله ؛ لذلك شاهدوه فى كل شىء وأنسوا به فى كل شىء ، ولم يستوحشوا كغيرهم من شىء . وذلك لأن أنس عبارة عن فرح القلب واستبشاره بمطالعة الجمال الإلهى ، وهو على ثلاث درجات : أنس ينشأ من مطالعة آيات الجمال الإلهى فى حضرة الأثر يمازجه الشوق . وأنس ينشأ عن مشاهدة الجمال فى حضرة الصفات يمازجه الفناء . وأنس ينشأ عن الفناء فى شهود الحضرة . أما بيان الأنيس الأول فهو أننا نرى أن فى الوجود جمالا ، وذلك الجمال ينقسم إلى قسمين : جمال حسى ، وجمال معنوى ، أما الجمال الحسى : فهو ما يدرك بالحس ، وأما الجمال المعنوى : فهو ما يدرك بالبصيرة وإليهما الإشارة بقول الله عز وجل : « خلقكم فأحسن صوركم » وصح إطلاق اسم الصورة على كل متعين ظاهراً كان أو باطناً ، ثم لا يخلو ذلك الجمال من أمرين : إما أن يكون لذات الممكن من حيث هو ، وإما أن يكون مفاضاً عليه من غيره ، فإن كان الأول فهو باطل . ضرورة أن الممكن لا وجود له من ذاته فضلا عن أن يكون فيه جمال من حيث هو ، وإذا كان الأول باطلا فلا بد أن نقول بالأمر الثانى ، وهو أن كل جمال اتصف به الممكن إنما هو مرتبة من مراتب تنزلات الجمال الإلهى فى حضرة الأثر ، تجلى بها البديع فى مرآة الإمكان ؛ لتكون دليلا عليه لمن كان له قلب ، وفى ذلك يقول بعض العارفين رضى الله عنه :

كل الجهات لشمس حسنك مشرق
ولكل ذى قلب إليك تشوق

يا واهب الحسن البديع لأهله
كل لحسنك فى الحقيقة يعشق

وحيث إن للحق تبارك وتعالى فى كل شىء آية من آيات الجمال فكيف يستوحش الإنسان من شىء وفيه جماله؟! لذلك نرى أن العارفين والمحققين لم يستوحشوا من شىء ؛ لأنهم ناظرون إلى جماله فى كل شىء ؛ « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » وذا اسم إشارة إلى القريب ، ولا شك أن من شهد جمال الحق أحبه ، ومن أحب شيئاً كان أنسه به . أما المرتبة الثانية: فهى أن الجمال الإلهى فى حضرة الإمكان وإن كان ظاهراً ، إلا أنه من خلف حجاب الأثر ، فكان مثل المحب الناظر إليه كمثل من مشهد محبوبه من خلف ستر رقيق . ولما أن كانت همة العارفين عالية لم يكتفوا بما بدا لهم من آيات الجمال فى هذه الحضرة . حملهم الشوق إلى استكمال هذه الرؤية بالنظر إلى كنه الجمال من خلف حجاب الأثر فسلكوا ما رسمه لهم البديع على لسان نبيه طالبين رفع ذلك الحجاب حتى يشهدوا محبوبهم . وأعنى بما رسمه الحق على لسان نبيه ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً « ما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ، ومازال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، ومتى أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها » إلى آخره والحب الإلهى يرجع معناه إلى مسارعة الحق فى كشف الحجاب الحائل بينه وبين من اصطفاه لقربه . ولا شك أن من شهد جمال الحق من غير حجاب غلب عليه الأنس به وأحاط به الفناء فيه . أما الأنس فى المرتبة الثالثة: فهو أنس بشهود الحضرة. وعنده تسقط العبارات والإشارات. لا يعلم فيحاط به ولا تستشعر حيثيته فيشار إليه ، ولا يعقل فينجر عنه ، وذلك لظهور سلطان الذات الموجب لمحو العبارات والإشارات. ومن وصل إلى المرتبة الأولى فى مشاهدة الجمال حصل له الأنس به فى كل شىء ، ومن حرم من مشاهدة جماله استوحش من كل شىء ، ومن ثم اختلف القوم فى مشاربهم . فغاية العباد والزهاد من المزلة الوصول إلى الأنس به ، وغاية العارفين والمحققين من السير الوصول إلى الحضرة والفناء فيها ، حتى يكونوا بالله وإلى الله « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له » . والله يقول الحق ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

محمد عيد الشافعى

الإلـــــــه

للأستاذ محمد جاد كشك
واعظ مركز قليوب

« وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم » صدق الله العظيم

دواؤك فيك ولا تشعر ... ودواؤك منك ولا تبصر
وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

دعانى للكتابة فى وجود الإله الخالق المريد — الذى ملأت قدرته الكائنات ما نبصر ومالا نبصر ، وما وصل إليه العلم وما لم يصل — ماقرأته فى الصحف من أن راديو الشيوعيين أذاع على لسان مذيعيه « أن الإله غير موجود ، وأنه لا يستطيع إثبات وجوده بأى حادثة !! » .

ولا أدرى هل هذه الإذاعات بلغت من الجهالة إلى حد إنكار تلك البديهية التى هى وجود بارىء الأكوان التى قد أجمع عليها العقل البشرى منذ كان ، وبشرت بها الأنبياء والمرسلون والفلاسفة من عباقرة الإنسان فى قديم الاحقاب ، ولم تكن هذه المعرفة وليدة صدفة أو صرفة ، وإنما هى وليدة تفكير وتجربة ابتدأت بالاستقراء العقلى استقراء متواصلا ، ومن جهات وبلاد مختلفة اختلاف الأقاليم واللغات وطرق المعرفة ، حتى خلصت البشرية إلى أن للعالم بارئا سيطر قهره ونفذت قدرته فى أغواره ، مما تجلى للحواس عن طريق تركيب المشاهدة وأختراع صور فرضية يسعى وراءها ، قد تنتج المطلوب وقد تفشل ، فتبتدىء البحث على طريقة ترى ملاءمتها لإنتاج مطلوبها ، ولا يزال العقل مع تطوره وبلوغه حدا كبيرا فى احداث تغييرات هامة كان يراها العقل أولا شيئا هو كالمستحيل ، ولكن مداومة تنقيبه وسعيه وراء كشف جوهر هذا الكون لايزال ولن يزال هو فى كل طريق ينجح أو يفشل إنما يخر ساجدا مذعنا لوجود

قوة جارفة هائلة تشحذ هذا الكون بحياة تتناسب مع عوالمه ، فالشمس التى أحاطها علماء « الميكانيكا » بالبحث عن جرمها ومادته وضوئها الأبيض الذى حلل إلى جميع الألوان أصلبها ومزيجها وحتى الآلات التى حللت هذا الضوء ، إنما استلهموا تكوينها من الطبيعة نفسها ، فقطرة من الماء انبثقت أمام أحد العلماء فرآها تتلون بألوان مختلفة تحت ضوء الشمس الأبيض ، وفى يوم غائم ظهر قوس قزح يحمل هذه الألوان فى دائرة رشيقة ، فأخذ يصنع آلاته ومناظيره « ميكروسكوباته » على هذا الوضع الفطرى الذى رآه فى الماء والقوس .

ثم أخذ يعمل ويخترع الأجهزة ليكشف عن ألوان وخواص لهذا الضوء فاكتشف كثيرا وكثيراً جداً ، ولكن عجزه لازال قائما عن مدى تكوين هذا الضوء ومنبعه ، وكيف اندمجت هذه الألوان ومدى تأثيرها فى الحياة إلا قليلا مما أتيح للعقل والتجربة ، ثم هو لا زال فى مبدأ بحثه على بعد سيره وتقدمه فى نظر من قبله .

وهذا جماد تحسبه جامداً وهو يسير وتتحرك جزئياته سلبا وإيجابا ، وهذا نبات يعتصر غذاءه من الأرض حسب تكوينه وما قدر له من غذاء يحييه ويقومه ويحفظ امتداد نوعه ، وهذا حيوان ينمو بخلاياه التى هى خلايا النبات فى هندستها وكثير من حركتها ، إلا أنها ركبت تنمو وتتحرك بشىء معنوى جاش العقل على ركبتيه ذليلا حائراً ، ثم قام متهافتا ليركب متون المعرفة ويركض وراء استكناه هذا السر الذى جعل هذه الجزئيات حركة وتفكيراً ، ثم انقلب صارخا الله .: الله ، ثم هو .... هو الإنسان الذى قد يتخذ من هذا الجهل جحودا ومن عدم الوصول إلى غرض لهذه الحقائق التى هى فيه والتى هو بعضها ، ولذلك وجد أن يتأمل فى نفسه بعد أن يتأمل فيما يحيط به .

« وفى أنفسكم أفلا تبصرون »

« من عرف نفسه فقد عرف ربه »

ولذلك انعكست هذه الصورة واضحة فى آراء المنصفين ، فيقول دكتور « يوستاس تشر » الاسكتلندى (لقد كشف البحث عن الضرورة اللازمة للحياة وهى الدفء ويعتقد بعض الناس أن ارتفاع درجة الحرارة ساعدت على تفاعلات

كيمائية معقدة ،أعانت الحياة على الخروج من العادة الميتة : — ولقد عكف منذ سنوات على محاولة صنع الملابسات والحصول على نفس النتائج بطريقة صناعية ولكنهم حتى الآن لم يستطيعوا النجاح فى خلق الحياة ، حتى فى أبسط صورها وهم قد ينجحون . . ؟ ولا أدرى ولا مفر من أن نذكر اسم الله على تلك القدرة المشيئية ..

ولقد مر « العالم » بأشياء ذرية وخلايات وعناصر وكان يسأل نفسه هذا السؤال ثم يهتف باسم الله ، ولقد امتد هذا البحث فى الأكوان كما قلنا واشتهر به جماعة من أئمة الفلاسفة المسلمين الذين أرجعوا البصر كرتين فانقلب البصر خاسئاً وهو حسير ، ومن خوارق الأمور ومعجزاتها أن يتصدى القرآن للرد على هؤلاء ..؟ فهو يرد على منكرى الإله ، الذين قالوا : « إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » بقوله : أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون » .

ثم يتحدى ولا يزال تحديه قائماً لأولئك الذين حاولوا إخضاع البيئات لإيجاد الحياة بقوله :

«ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا»

فإذا وجد فى عصرنا من أذاعوا الإلحاد فى إطار مبادىء أقنعوا أنفسهم أو لم يقنعوا بأن وجود الإله أسطورة ووجود الأديان خرافة فهم لا يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون .

الرومانتيكية فى الأدب الصوفى

للأستاذ أحمد السيد عوض الله
المدرس بالأزهر

(٢)

وإلى هنا ننتقل إلى الحب الصوفى لنرى الاتجاهات العلوية التى يسير فى فلكها، والأهداف التى نبتغيها لنعلم أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا:

الحب الصوفى لا ينكر الحب الإنسانى بل إن المتصوفين يرون أن هذا الحب خطوة جدية للوصول إلى الغاية المنشودة وهى حب الله عز وجل ...

فكل حب إنسانى لا تشوهه الميول الرخيصة ولا يدنسه الهوى المرذول، ولا تتحكم فيه الغرائز الدنيا، جدير بأن يرتفع بصاحبه عن تلك المادية المبتذلة إلى معارج اللطف والإلهام، فالحب الإنسانى أول الطريق إلى الحب الإلهى، وكيف لإنسان أن يغرق فى بحار الوجد وضياء الملكوت؟!.

وكيف لقلبه أن يتفتح للمعارف الربانية دون أن تمس عضلته عاطفة الحب المتهادية فى نسمات الشوق المنساب؛ ولذا نجد الصوفيين يهتمون بالشعراء العذريين الذين أحبوا وذاقوا طعم الحب صابا وعلقما دون أمل أو رجاء.

وهم إنما يقبلون على هذا الأدب لا لأنه يمثل وجهة نظرهم بل لأنه وسيلة وطريق إلى الحب الإلهى أولا، ولأن الألفاظ العادية فى كلام الأدباء لا تسع معانيها العميقة وأفكارهم المتلألئة ثانيا ...

إن ساعة وجد عند الصوفى تغمر قلبه بضياء الله وتتجلى له فيها المشاهدات الربانية بروعتها وجلالها.

نعم هذه الساعة كفيلة بأن تعقد الألسنة وتقف أمامها الألفاظ العادية مضمحلة متهافتة ...

لذلك وجد الصوفيون متعة عميقة فى قراءة أدب العذريين،،

وكان من الممتع حقا أن يجدوا من يعبر عن خواطرهم بهذا اللهب المتقد من الألفاظ حينا وبالسلاسة والهدوء حينا آخر، تماما كنفس الصوفى، تارة يجذبه الوجد فإذا به يشعر بالقلق والخوف، وتارة أخرى تهدأ

روحه فإذا هو ماء نقاح ، وعندما يشرق النور فى القلب ويندلع فيه لهيب الحب يكون الصوفى قد بدأ يعرف الطريق .

وفى لحظة من لحظاته الحالمة ترتفع روحه الهادفة إلى درجة أعلى فى الحب حيث يترك ذلك الحب الفانى ليستبدله بحب أبدى لا يزول ... وإن هذا المنهج فى تدرج الحب طبيعى كطبيعة النفس الإنسانية... والمشاهدات تؤيد مذهب الصوفيين فى الحب : فمن الناس من تجده فى الحياة فظا غليظا لا تطرق المعانى السامية قلبه ، ومنهم من تراه رقيقا حساسا فإذا بحثت عن سبب الخشونة فى ذاك والرقة فى هذا وجدته الحب والخلو من الحب ...

ويحرص الصوفيون على تدعيم طريقتهم هذه - حينما يتناولون قصص الحب - بالبحث والتمحيص، فعبدالرحمن الجامى الأديب الصوفى العملاق ، يتناول قصة « مجنون ليلى » من زاويته وعلى طريقته ... فيرى أن قيسا هام بليلى وأحبها حبا فتح شغاف قلبه حتى أشرقت فيه الأنوار الإلهية فإذا به يترك ليلى وينسى حبها لأنه وجد الحب الأبدى الخالد الذى لا ينضب معينه ولا يجف فيضه :

ويلح الصوفيون فى التمسك بهذا التدرج فى الحب : فقد روى أن رجلا ضاع حماره فمر على شيخ صوفى يعظ تلاميذه ، فسأل الرجل الشيخ عن الحمار ربما يكون قد مر عليهم وهم فى درسهم فقال الشيخ لتلاميذه من منكم من لم يحب ؟ فقام تلميذ وقال : أنا ياسيدى. فقال الشيخ لصاحب الحمار : خذ هذا فهو حمارك فلا فرق بينهما إلا طول الأذنين »

والقصة طريفة ، وهى تدلنا على مـــدى حرص الصوفيين على العشق الإنسانى الطاهر الذى يكون سببا فى الوصول إلى العشق الإلهى ...

وحرى بنا - وقد وصلنا بالحب إلى هذه الدرجة ودفعناه من الأرض إلى السماء - أن نبحث كنهه وطبيعته وأن نكشف اللثـــام عن نفحاته الشذية وأنغامه القدسية ، وأن نعرف مدى تطوره وتساميه لنغترف من كمره ونشرب من كأسه .

... وإذا كان الرومانسيون قد وصلوا بالحب إلى درجة الجذب فإن الصوفيين قد قطعوا أشواطاً بعيدة المدى فى حبهم الصاعد وارتفعوا بطبيعته حتى أوصلوه إلى الذات العلية.

وهنا نتساءل كيف يحب العبد ربه؟

ويجيب الصوفيون بأن محبة الله فيض ينبع من القلب وإشراق ينبثق من ذات النفس وتتمثل فيه قوة الجذب حيث تتسلط أنوار السماء على قلب المحب وتغمر ضميره فيجد فى ذاته أنسا وصفاء وطهراً ونقاء . والقلب هو المصدر الوحيد لهـــذه الشحنات الروحانية ، يتقبلها كفيض من الله ثم يدفعها منطلقة سابحة تصعد فى السماء .

والشعور بالجمال سلم يرتقى منه المحب إلى غايته .. حيث يتعمق مظاهر الجمال فى الطبيعة الحالمة وتذوب نفسه وجداً بها وحباً لها ، . ويرى بروحه التى نفحها الله لمحة نورانية الجمال باسطا أجنحته على الوجود الضاحى والكون المبسوط .

إنه يرى بقلبه الشفاف جمال الأرض حيث ينعكس عليها نور السماء فيضفى على مافيها ومن فيها رقة وعذوبة تسرى فى النبات والحيوان كما تسرى فى الإنسان ...

وجمال الطبيعة يضفى على القلب هيبة وجلالا يستشعرهما المؤمن فى ضميره ويحس بهما فى وجدانه ، فإذا به يقع خاشعاً متبتلا فى محراب هذا الجمال يتأمل صنع الله الذى أتقن كل شىء .

ثم تتداعى به المعانى — كما يقول علماء النفس فيركز فكره فى خالق الكون تاركا جمال الكون .

وعند الشروع فى هذا الانتقال من جمال الوجود إلى جمال خالق الوجود تكون القوة الواعية لدى المؤمن مدركة كل مايجول بأفكاره من خيالات رائعة جميلة .

وما يلبث على هذه الحال وقتا قد يطول وقد يقصر حتى ينسكب فى قلبه النور الإلهى فاذا به شىء آخر حيث يدركه فى بعض الأوقات المتألقة سكر إلهى ونشوة ربانية ...

وهنا نقول: إن العبد أدرك حب الله، فيغيب عن نفسه فى هذه الأوقات السعيدة، ولا يرى أمامه إلا ذلك النور الذى يتلألأ فى ملكوت الله .

وهذه التأملات الجميلة التى توصل إلى الحب الإلهى لا يمكن أن تحل فى قلب لا يعبد الله ؛ لأن سداها ولحمتها خشية الله والوقوف عند حدوده .

والحب الإلهى بهذه الكيفية لا يؤدى إلى التعطيل فى أى من العبادات التى فرضها الله على عباده ،

وصحيح أن المحب الإلهى تحصل له غيبوبة ويحصل عنده سكر إلهى ، ولكن ليس صحيحا أن هاتين الحالتين تستدعيان ترك فرائض الله ، ذلك أن

الحب متبادل بين العبد وربه، وما كان لعبد يحبه الله عز وجل أن يتركه دون أن يسدل عليه حمايته، ويؤيده بروح من عنده، ويجعل منه ذلك الإنسان الذى يحافظ على أوامر الله.

وجدير بمن يصفو قلبه هـذا الصفاء وتتطهر نفسه ذلك الطهر ألا يتدنس بمعصية!! كيف والمعصية تحدث غشاوة على القلب تناقض ذلك الصفاء.

وإذن فلا مناص من الحكم بأن الحب الإلهى ولو بلغ درجة الفناء لا ينافى القيام بالعبادات، بل هو طريق مستقيم لتزكيتها والإخلاص فيها. على أن الصوفيين أنفسهم لم يقولوا بفكرة التعطيل حتى عند بلوغ الحب نهايته، ووصول المحب إلى درجة الفناء فى الله واستمع إن شئت لكلامهم فى المحبة لترى بنفسك حدودها ومعالمها ولتعلم أنها لا تتنافى مع التكاليف.

قال يحيى بن معاذ «ليس بصاوق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده»، وقال القشيرى فى الرسالة «وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة، وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له، وإيثار رضاه وقلة الصبر عنه والاحتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه. وليست محبة العبد له سبحانه متضمنة ميلا ولا اختطاطاً، كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والإحاطة».

ومن هذا النص تتبين حقيقة الحب الإلهى عند المتصوفين وأنه يتلخص فى ثلاث:

١ — الحب الإلهى نور يقذفه الله فى قلب المحب يعجز البيان الإنسانى عن التعبير عنه.

٢ — حب الله يحمل العبد على تعظيم ربه وذكره فى كل وقت وطلب رضاه فى كل حين، ولن يتأتى رضا الله سبحانه إلا إذ قام العبد بجميع التكاليف التى فرضها الله عليه.

٣ — ليس الحب الإلهى كالحب الإنسانى عاطفة متبادلة بين طرفين متجانسين، لأن المحب بشر والمحبوب ليس كمثله شىء.

وقد روى أن أبا عبد الله التروغندى دخل بيته فوجد فيه منوين حنطة — وكان الناس يموتون من الجوع بسبب مجاعة حلت بهم — فأخذته الرحمة بالناس، وقال الناس يموتون من الجوع وفى بيتى حنطة؟ وخولط فى عقله فما كان يفيق إلا فى

أوقات الصلاة، يصلى الفريضة ثم يعود إلى حالته، فلم تزل كذلك إلى أن مات.

فالحب الإلهى إذن قوة هادفة تنمى الروح وتقوى دعائم النفس فتدفع الإنسان إلى العمل لمرضاة ربه وبناء مجتمعه على أساس قوى سليم. وإذا كان بعض المحبين يصلون فى حبهم إلى درجة الفناء فليس معنى هـذا أن تتحطم أجسادهم فيقعدون عن الجهاد فى سبيل الله، وإنما هى الروح المتسامقة تيصل بالسماء فتطرب وتتيه ثم ترجع إلى ذاتها فتبلورها فى إطار من نور، فإذا الإنسان قوة صاعدة تنبثق منها الأعمال الصالحة والفضائل العليا.

وواضح من هذا أيضاً أن درجة الفناء فى الحب لا تعنى فكرة الحلول، ففناء الروح فى ذاتها أمام نور الله لا يعنى على الإطلاق أن يحل الله فى هذه الروح أو تفنى هذه الروح فى الذات القدسية، ومن هنا لا يحق لإنسان أن يدعى أن الفناء فى الحب يحمل فى طياته فكرة الحلول، وأن المتصوفين المسلمين أخذوا هذه الفكرة عن بعض الديانات، أو تأثروا بالمدارس التى سبقتهم فى الكلام عن الحب الإلهى.

ومن هنا نعلم أن المتصوفين قد جعلوا للحب الإلهى قواعد وأسساً لا يستطيع الإنسان أن يصل إلى الله بدونها.

وإذا كان الرومانسيون قد بدأوا حبهم إنسانياً وتدرجوا به إلى درجة الجذب فإن المتصوفين يبدأون حبهم لله بوسيلة أخـرى هى تقوى الله عز وجل.

وإنما ذكرنا القواعد التى يسير عليها الحب الإلهى وبينا بعض النواحى التى يظن أنها غامضة. لنستطيع بعد ذلك أن نوضح أدبهم من شعر ونثر فى الحب على ضوء هذا البيان...

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لنبين كيف سما الصوفيون بهذه العاطفة وجعلوها منتهى آمالهم وغايتهم التى ليس بعدها غاية؟.. وكيف أنهم سبقوا الرومانسيين فى الكلام عن هذا الحب ورسموا لهم الطريق واضحاً جليا يمشون فى نوره ويستضيئون بهديه؟ ومن الفخر أن نقول: إن اللاحق لم يتقدم على السابق، بل إنها قطرة من بحر، وضعف يحاول أن يطاول القوة وزهرة يانعة من بستان كبير؟

البحث مستمر

معنى التصوف عند الغزالى

للاستاذ فوزى عرفه

يحمل التصوف عند أبى حامد ابن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى عدة صفات :

أولها :

أنه وضعه فى أعلى العلوم وجعله أشرفها وأفضلها . وهو يفسر ذلك فى كتابه « إحياء علوم الدين » إذ يرى أن الفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة . فإذا تشارك شيئان فى أمر واختص أحدهما بمزيد تعال فَضَله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشىء .

والتصوف فى نظره أفضل العلوم على المعنى السابق . أى أنه يحوى هذه العلوم ثم يزيد عليها زيادة وهى علم القلب . لأنه يقسم العلوم إلى قسمين : علم الظاهر وعلم الباطن ، أما علم الظاهر : فهو المعلق بالأحكام الظاهرة . وأما علم الباطن : فيتخذ له وسيلة وهى الأحكام الظاهرة ، أو علم الظاهر ، ثم يزيد عليه علم ، القلب فيكون أفضل من سابقه وأعلى فى المرتبة من باب آخر ، لأنه فى القمة بعد ماسبقه من العلوم .

هذه النظرية فى ترتيب العلوم تكاد تكون خاصة بالصوفية دون غيرهم من المتعلقين بالعلوم ، وتكاد هذه النظرية ترجع إلى الغزالى دون غيره من المتعلقين بعلم التصوف ، ذلك لأنه كان قد وجد فى عصر انتشر فيه علم الكلام وازدهرت الفلسفة ، وأوتى من القدرة والإحاطة وسعة الاطلاع مازوده بمعرفة هذه العلوم جميعا ، ثم جاوزها إلى غيرها من العلوم الباطنة فأدى به ذلك إلى نظرية فى ترتيب العلوم بالإضافة إلى أن التصوف أصبح عنده نظرية للمعرفة والسعادة .

وهنا يختلف الغزالى عن غيره من المتقدمين ، ذلك أنهم كانوا قد انتهو إلى قسمة علم الشريعة إلى قسمين ! علم ظاهر ، وعلم باطن ، وجعلوا الظاهر مقصورا على الفقه والحديث والتفسير ، وأدواته الاطلاع ، والاستذكار ، وحضور مجالس العلم ، فهو من المكاسب التى تكسب بالمواظبة والجد والتعب . وأما علم الباطن : فهو حالات تعرض

للقلب ،ومواجيد ومقامات يصعد بها السالك مدارج. وأدواته : التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله، والإقبال على الله بكنه الهمة ، فهو من المواهب التى يهبها الله عباده الصالحين ، إذا نقت نفوسهم وصفت قلوبهم وتطهرت أرواحهم .

ذلك ما انتهى إليه التصوف قبل الغزالى من الفصل بين الفقه والتصوف مما جعل بين الفقهاء والصوفية معارضات محتدمة ،انتهت إلى جلد الحلاج وقتله. أما الغزالى : فلم ير ذلك الفصل بين التصوف والفقه ، بل رأى أن الفقه درجة من درجات التوصل إلى التصوف ، فهو بذلك يوفق بين التصوف والفقه معليا من قيمة التصوف ، دون أن يحط فى الوقت نفسه من قيمة الفقه ولا العلم على وجه العموم .

ثانيا :

يعارض الغزالى فى نفس الوقت ما كان قد ابتدر من الصوفية وما عظم أمره فيما بعد من الإعراض عن الدنيا إعراضا كاملا- نعيمها وطيباتها وعلومها أيضا - كما يقول الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، وذلك لأنه ينكر على الصوفية الشطحات التى يقسمها إلى صنفين : —

١ — الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله تعالى، والوصال المغنى عن الأعمال الظاهرة ، حتى ينتهى قوم إلى دعوى الاتحاد ، وارتفاع الحجاب، والمشاهدة بالرؤية ،والمشافهة بالخطاب، فيقولون : قيل لنا كذا وقلنا كذا ، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج ، الذى صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ، ويستشهدون بقوله : أنا الحق .وبما حكى عن أبى يزيد السبطامى أنه قال : سبحانى سبحانى !! وهذا فن من الكلام عظيم ضرره فى العوام .

فهو ينكر نظرية العشق التى ظهرت عند ذو النون المصرى ، ونظرية الاتحاد والحلول التى ظهرت عند الحسين بن منصور الحلاج ،وذلك لخوفه من تأثيرها على العوام . ومن هنا يقف الغزالى موقفاً واضحاً ضد هذه الشطحات الصوفية ،إذ رأى فيها ضرراً كبيراً على العوام ، وبعداً موغلا عن روح الإسلام [حتى ترك جماعة من من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى ؛ فإن هذا الكلام

يستلذه الطبع ؛ إذ فيـــه البطالة من الأعمال، مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال ، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا : هذا إنكار مصدره العلم والجدل ، والعلم حجاب . والجدل عمل النفس ، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق ، فهذا ومثله مما قد استطار فى البلاد شرره ، وعظم فى العوام ضرره، حتى أن من نطق بشىء منه فقتله أفضل فى دين الله من إحياء عشرة] وهذه النتيجة التى انتهى إليها الغزالى حتى أن قتل من يوغل فى هذه المعميات ويزين تلك الترهات ، ويتعثر لسانه بأمثال هذه الألفاظ إنما يتبين بحق أنه لم يسر فى طريق الصوفية السابقين عليه، وإنما كان علما مفردا بينهم. تفرد بخصائص تميزه عن سابقيه ، وتجعل له قيمة كبرى فى تاريخ الحياة الروحية الإسلامية .

٢ — والصنف الثانى من الشطحات، كلمات تقال وليس وراءها طائل؛ لأن قائلها لا يفهمها، أو يفهمها ولكنه لا يستطيع تفهيمها ، وكذلك تأويل أصل الكلمات، إذ يفسرون قوله تعالى (إذهب إلى فرعون إنه طغى) بأن فرعون معناه القلب ، وهو الطاغى على كل إنسان. وقوله (وألق بعصاك) أى توكل على الله واترك كل ما يشغلك عن التوكل عليه تعالى . وقول الرسول (تسحروا فإن فى السحور بركة) أى استغفروا. حتى إنهم يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره . وهو يشبه فى ذلك ابن رشد الذى قصر التأويل على أضيق الحدود ، والشيخ محمد عبده الذى جعل التأويل ملجأ عندما يضيق ظاهر الآية عن قبولها بمعناها الظاهر .

وليس معنى هذا أن الغزالى ينكر التأويل إنكارا تاما ، فإنه يقول : [ولا ينبغى أن يفهم أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر، فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ، ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع ، فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل »]

أرأيت إذن إلى ذلك الفهم الواسع والعقل الكبير الذى يطوف فى الآفاق ويتصرف إلى تحصيل العلوم ، إنه لايتبع سلفه فى غير تفكير وتدبر ، ولا يأخذ من سابقيه من غير أن يهضم ما أخذه ، بل يرى أن لعقله عليه حقا ، وأن هذا الحق ينصرف إلى النقد والتمحيص حتى ينتهى إلى رأى قد يخالف سابقيه ولاحقيه ويصبح علما يشار إليه بالبنان !!

ومن هنا انقلب التصوف عند الغزالى فى مضمونه ، فلم يعد هجرا للدنيا وتركا للذات ، بل أصبح حالة نفسية واعية متبصرة ، تذرع الآفاق وتتدبر الكون ، وتصدر الأحكام عن روية وفهم ، بعد معرفة الدين معرفة وثيقة لاتنفصل ولا تنقصم ، وهو بذلك يريد المسلم الواعى ، ولا يريد المسلم الجلف المتواكل ، أو أن صورة التصوف فى ذهنه هى صورة الرسول الكريم وأصحابه والتابعين .

عرض شامل لتقدم الإنتاج فى إقليمى الجمهورية

سينما — مسرح — مطـــاعم .. الخ

احتفظ بتذكرة الدخول فقد يسعدك الحظ بالفوز فى يانصيب السوق الأسبوعى أو فى السحب الكبير الذى سيجرى فى نهاية السوق

المواعيد من ١٠ صباحا إلى ١٠ مساء

الهيئة الزراعية المصرية

مقاومة آفات القطن

قام قسم وقاية المزروعات بالهيئة الزراعية المصرية فى العام الماضى بعمل خمسين لجنة لمقاومة آفات القطن المختلفة وكل لجنة مكونة من موتور مالىء يعمل على الضغط المنخفض لملء الرشاشات والضغط المرتفع للرش بالخراطيم وكان التهافت عظيما على هذه اللجان وزادت غلة الفدان فى المساحات المعالجة فى المتوسط حوالى ٢٥ : ٣٠٪ مما شجع الهيئة على زيادة عدد لجانها هذا العام إلى مائة لجنة . ولقد وصلت الموتورات فعلا .

والهيئة الزراعية تعلن من الآن استعدادها لعلاج أكبر مساحة من القطن فعلى كل من يرغب من حضرات المزارعين المبادرة بتقديم طلباتهم لقسم وقاية المزروعات بالهيئة الزراعية المصرية ص . ب ٦٣ القاهرة . حتى أول شهر مارس سنة ١٩٦٠ مصحوبا بتأمين ابتدائى قدره خمسون قرشا على كل فدان وستكون الأفضلية بحسب ورود الطلبات . هذا وقد عملت الهيئة على توفير مختلف أنواع الكيماويات الحشرية الخاصة بأعمال المقاومة وشملت تلك الكيماويات الآتى :

الاندرين . التوكسافين . ددت لندين . كوتن دست . ددت مستحلب ددت ميكرونى . ايكاتين . ميتا ايزسستوكس . جيزاثيون . باراثيون

كما أن الهيئة الزراعية على استعداد لبيع الموتورات المالئة التى تعمل على الضغط المرتفع والمنخفض واستوردت كمية محدودة لهذا الغرض .

دار القلم
١٨ سوق التوفيقية
القاهرة